الآداب العامة

تقديم ومشاركة

د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

الآداب العامة

تقديم ومشاركة
د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى
للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

[سورة فصلت: ٣٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

الحمـد لله رب العالمـين، والصـلاة والسـلام عـلى خاتم أنبيائـه ورسـله سـيدنا محمـد بـن عبـد الله ﷺ وعـلى آلـه وصحبـه ومـن تبـع هـداه إلى يـوم الديـن.

وبعـــد،،،

فإن ديننا الحنيف هو دين الجمال والرقي والذوق السليم والحس الإنساني المرهف، فكل ما يتسق مع الآداب الإنسانية العامة هو من صميم الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[1]، والأمم المتحضرة والدول الراقية هي التي تجعل من مراعاة الآداب العامة منهج حياة، ولا تعد هذه الآداب من نافلة القول أو على هامش أولوياتها،

(١) [سورة الروم، الآية ٣٠].

فالآداب العامة لا تنفك عن منظومة القيم والأخلاق الإنسانية الراقية، والتحلي بها دليل على حب الله عز وجل للعبد، حيث يقول نبينا ﷺ: "إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ الله إِلَى الله أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا".

ولا شك أن الإسلام قائم على كل ما ينمي الذوق، ويرسخ القيم الإنسانية السوية، ويسهم في تكوين الرقي الشخصي والمجتمعي، وينشر القيم الحضارية، ويؤدي إلى تأصيلها وتجذيرها في نفوس الناس جميعًا.

وقد حرص الإسلام على تعليم أتباعه القيم الراقية، وتنشئتهم عليها منذ نعومة أظفارهم، سواء فيما بينهم وبين أنفسهم أم فيما بينهم وبين الناس، فهذا نبينا ﷺ عندما رأى صبيًّا تطيش يده في وعاء الطعام، علّمه وَوَجَّهَهُ بما يهذِّب ذوقه وطبعه، فقال ﷺ له: "يَا غُلامُ، سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيمينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"، يستوي في ذلك حال من أكل منفردًا ومن أكل مع غيره من الناس.

ورغَّب الشرع الشريف في التَّحلِّي بحسن الخلق في كل مناحي الحياة، حتى صار حسن الخلق علامة على خيرية صاحبه وحسن إسلامه، حيث يقول نبينا ﷺ: "إِنَّ مِن

أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنكُم أخلاقًا"، ويقول ﷺ: "إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ"، وقال ﷺ: "إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ".

ونقدم في هذا الكتاب نخبة من المباحث المهمة في الآداب العامة أعدها مجموعة متميزة من شباب علماء الأوقاف، وقد شاركتهم فيه ببحث هام عن الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ، سائلًا الله ﷻ أن يكرمنا جميعًا بحسن الخلق في الدنيا، وأن يجعله سبيلًا للقُرْب من حبيبنا وسيدنا رسول الله ﷺ يوم القيامة.

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان،،،

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الأدب مع الله تعالى(*)

الَأَدَبُ في لغة العرب له معانٍ متعددة، يقول ابن منظور: "سُمِّيَ الأدبُ أَدَبًا لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلَى المَحامِد، ويَنْهاهم عَنِ المَقَابِح، وأَصل الأَدْبِ الدُّعاءُ، وَمِنْهُ قِيلَ للصَّنِيع يُدْعَى إِلَيْهِ الناسُ: مَدْعاةٌ ومَأْدُبَةٌ"، ومن معاني الأدب أيضًا: "الظَّرْفُ وحُسْنُ التَّناوُلِ"(٢).

فالأدب يتضمن الحديث عن الأخلاق العملية، أي ممارسة السلوكيات المحمودة والابتعاد عن السلوكيات المذمومة، ومن المعاني الاصطلاحية للأدب أنه: "عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ"(٣)، و"الأدب ما هو إلا الخصال الحميدة"، أو "اجتماع خصال

(*) أعد هذا المبحث د/ محمد السيد نصار، مدير عام الإرشاد الديني ونشر الدعوة.
(٢) لسان العرب، ١/ ٧٠.
(٣) كتاب التعريفات للجرجاني، ١/ ١٥.

الخير، فالأديب الذي اجتمع فيه خصال الخير"[1]، وقيل: هو "استعمال ما يُحمد قولًا وفعلًا، أو هو الأخذ بمكارم الأخلاق"[2]، فلزوم الأدب من الأمور العظيمة التي ندبت إليها الشريعة الإسلامية، وحثت على فعلها والعناية بها لتحسين الخلق وتهذيبه.

والأدب مع الله ﷻ أرفع مراتب الأدب وأعلاها، وأجلها وأزكاها، فما تأدب متأدب بأحسن من أدبه مع ربه وخالقه، وما أساء امرؤ الأدب بأشنع من سوء أدبه مع ربه ﷻ.

وقد تكلم أهل العلم والمعرفة في حقيقته، وعبارتهم في الأدب يقصدون بها انكسار العبد تحت الحياء وذله تحت المهابة، فلا ينطوي قلبه على قبيحٍ، ولا يصرُّ على ذنب، وهذا المعنى مصرّفٌ في كلامهم، وقد تنوعت عباراتهم في التعبير عنه، قال ابن عطاء الله السكندري: الأدب الوقوف مع المستحسنات. فقيل له: وما معناه؟

(١) كشّاف المصطلحات للتهانوي، ١/ ٧٩٠. والرسالة القشيرية، ص ٥٨٨.
(٢) فتح الباري، ١/ ٤١٤.

فقال: أن تعامله سبحانه بالأدب سرًّا وعلنًا، فإن كنت كذلك كنت أديبًا وإن كنت أعجميًّا، وقال يحيى بن معاذ: "من تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله"، وقيل: "إذا صحت المحبة تأكدت على المحِب ملازمة الأدب"، وسئل الحسن البصري عن أنفع الأدب فقال: "التفقه في الدين والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عليك"[1].

وعلى هذا فالأدب مع الله من صفات المرسلين، وسمات المؤمنين، فالمؤمن يجب عليه أن يلتزم الأدب مع مولاه لينال رحمته، ويفوز بجنته، ويحقق السعادة في الدنيا والآخرة، ذلك لأن الإنسان منذ خروجه من بطن أمه وهو يتنعم بنعم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]، قال الإمام الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: "لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلًا أن تطيقوا القيام بحقها

(١) راجع أقوالهم في: الرسالة القشيرية، ص ٥٨٧ – ٥٩٠، ١٠٨، واللمع للسراج الطوسي، ص ١٩٦ – ١٩٨.
(٢) [سورة النحل، الآية ١٨].

من أداء الشكر، وإنما أتبع ذلك ما عدَّد من نعمه تنبيهًا على أن ما وراءها لا ينحصر ولا يُعدُّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم"[1]، فالطريق إلى الله كله آداب، فمن لزم الأدب لزم التقوى، إذ هو منبثق منها وراجع إليها.

- نماذج من أدب الأنبياء مع الله تعالى:

- **منها:** عدم التفاتهم إلى شيء وهم بين يدي الله، ولقد جرت عادة القوم الذين كتبوا في الأخلاق والسلوك أن يذكروا في هذا المقام[2] قول الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[3]، وكأنهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إن هذا وصف لأدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانبًا، ولا تجاوز ما رآه، وهذا كمال الأدب، والإخلال به أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلع أمام

(١) الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل للزمخشري، ٢ / ٥٠٠ بتصرف.
(٢) راجع: الرسالة للقشيري، ص ٥٨٧، مدارج السالكين لابن القيم، ٢/ ١٠٩.
(٣) [سورة النجم، الآية ١٧].

المنظـور؛ فالالتفـات زيـغ، والتطلـع إلى مـا أمـام المنظـور طغيـان ومجـاوزة[1].

- **ومنها**: نسبتهم العلم إلى الله ﷻ، ومن ذلك أدب سيدنا يوسف عليه السلام بردِّه العلم الذي يحمله إلى الله ﷻ حين قَالَ: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾[2].

- **ومنهـا**: إسـناد الكـمال إلى الله تعـالى، ورد النقـص والعيـب إلى أنفسـهم، فمـن المواقف الجليلـة - التي يتجلى فيهـا الخلـق الحسـن والأدب الرفيـع - موقـف الخضر عليه السلام مـع الله تعـالى؛ حـين أسـند مـا كان مـن الخـير إلى الله ﷻ، فقـال في شـأن الغلامـين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾[3]، ومـا كان في ظاهـره النقـص أو العيـب أسـنده إلى نفسـه تأدبًـا مـع ربـه ﷻ، بقولـه في السـفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[4].

(١) مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، ١٩/ ٣٤٩.
(٢) [سورة يوسف، الآية ٣٧].
(٣) [سورة الكهف، الآية ٨٢].
(٤) [سورة الكهف، الآية ٧٩].

- **ومنها**: نسبةُ الخير إليه ونفي الشَّرِّ عنه، وقد ضرب الخليل إبراهيم عليه السلام أروع الأمثلة في الأدب الرفيع مع ربه، حينما تحدث عن نعم الله وآياته وقدرته فنسبها لله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾[1]، فنسب عملية الخلق إلى الخالق[2]، ثم جاء في سياق حديثه ذكر المرض فنسبه لنفسه حفظًا للأدب مع الله فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[3]، وما حكى الله ﷻ عن سيدنا أيوب عليه السلام في دعائه، فتارة ينسب الشر إلى الشيطان، وتارة لا يذكر الفاعل، وكل هذا من باب الأدب مع الله كما حكى الله عنه في قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ﴾[4]، وقوله أيضًا عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5].

- **ومنها**: طاعة الله سبحانه وعدم التقديم بين يديه، قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[6]، وقال

(١) [سورة الشعراء، الآيتان ٧٨ - ٧٩].
(٢) الكمال والجمال في القرآن الكريم، أ. د/ محمد مختار جمعة، ص ٧٨.
(٣) [سورة الشعراء، الآية ٨٠].
(٤) [سورة ص، الآية ٤١].
(٥) [سورة الأنبياء، الآية ٨٣].
(٦) [سورة النساء، الآية ٥٩].

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فالأدب مع الله ﷻ يستلزم طاعته وعبادته، وهي حق له سبحانه على عباده، ولكل عبادة وطاعة جملة من الآداب، منها الظاهرة، ومنها الباطنة التي أطلق عليها أبو حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" مصطلح "دقائق الآداب"، ستجدها في باب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحج...وهكذا.

كما جاء النهي عن التقديم بين يدي الله تأدبًا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، فهو أدب يمثل حدود إدراك العبد أمام ربه ﷻ، فلا يتقدم بين يديه بقولٍ أو فعلٍ، أو بأمرٍ أو نهيٍ، ولا يعترض عليه في قضاء ولا حكم ولا ابتلاء. ويدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: "كَيْفَ تَقْضِي؟"، فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي

(١) [سورة الأنعام، الآية ١٦٢].
(٢) [سورة الحجرات، الآية ١].

كِتَـابِ الله، قَـالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُـنْ فِي كِتَابِ الله؟"، قَالَ: فَبِسُـنَّةِ رَسُـولِ الله ﷺ، قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُـنَّةِ رَسُـولِ الله ﷺ؟"، قَـالَ: أَجْتَهِـدُ رَأْيِـي، قَـالَ: "الحَمْـدُ لله الَّـذِي وَفَّقَ رَسُـولَ رَسُـولِ الله"[1].

- **ومنهـا:** الرضـا بقضـاء الله وقـدره، فالرضـا بـاب الله الأعظـم، وجنـة الدنيـا، ومسـتراح العارفـين، وحيـاة المحبـين، ونعيـم العابديـن، وقـرة عيـون المشـتاقين، قـال تعـالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2]، وعَـنِ الْعَبَّـاسِ بْـنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ، أَنَّـهُ سَـمِعَ رَسُـولَ الله ﷺ يَقُـولُ: "ذَاقَ طَعْـمَ الْإِيـمَانِ مَـنْ رَضِيَ بِـالله رَبًّـا، وَبِالْإِسْـلَامِ دِينًـا، وَبِمُحَمَّـدٍ رَسُـولًا"[3].

- **ومنهـا:** شـكر نعـم الله تعـالى، فنعـم الله تعـالى عـلى عبـاده كثـيرة، قـال تعـالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ

(١) سنن الترمذي، أبواب الأحكام، بَابُ مَا جَاءَ فِي القَاضِي كَيْفَ يَقْضِي، حديث رقم: ١٣٢٧.
(٢) [سورة التغابن، الآية ١١].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، حديث رقم: ٣٤.

ٱللَّهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2]، وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[3].

فيجب على المؤمن شكر الله على ما تفضل به من النعم العظيمة، ويكون ذلك باعتراف القلب بالنعمة، والتحدث بها، والثناء على المنعم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4]، وتسخير النعمة في طاعة المنعم سبحانه، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[5]، فبالشكر يتحقق رضا الله على العبد، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[6]، وبه تتحقق الزيادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن

(١) [سورة النحل، الآية ٥٣].
(٢) [سورة إبراهيم، الآية ٣٤].
(٣) صحيح مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حديث رقم: ٢٩٩٩.
(٤) [سورة الضحى، الآية ١١].
(٥) [سورة سبأ، الآية ١٣].
(٦) [سورة الزمر، الآية ٧].

﴿شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وبه يأمن المؤمن من العذاب، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[2].

ومن الأدب مع الله تعالى كذلك أن تَسْتَحِيَ مِن نَظَرِ الله تعالى إليك.. فتحفظَ السَّمْعَ والبصرَ، والبَطْنَ والرأسَ، والفَرْج، والجوارح كلها. نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الأدب معه.

* * *

(١) [سورة إبراهيم، الآية ٧].
(٢) [سورة النساء، الآية ١٤٧].

الأدب مع رسول الله ﷺ(*)

لقد تحدث القرآن الكريم عن النبي ﷺ حديثًا كاشفًا عن مكانته وأخلاقه وعلو منزلته، فهو نبي الرحمة، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(٢)، ويقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣)، ويقول ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾(٤).

(*) أعد هذا المبحث أ. د/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، مصر.

(٢) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

(٣) [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].

(٤) [سورة التوبة، الآية ١٢٨].

وقد شرع الله ﷻ آدابًا مع سيدنا رسول الله ﷺ، واجب على كل من تعامل معه في حياته أو مع سنته بعد وفاته ﷺ أن يتأدب بها إلى قيام الساعة، ومن هذه الآداب:

- عدم ذكر اسمه ﷺ مجردًا عما يليق به من الوصف بالنبوة أو الرسالة أو الصلاة والسلام عليه، سواء عند ذكره ﷺ أو عند سماع اسمه ﷺ أو كتابة اسمه المبارك ﷺ، بالغًا ما بلغ عدد مرات الكتابة أو الذكر، فذلك من أخص علامات حب سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا ما يعلمنا إياه القرآن الكريم؛ حيث نادى رب العزة سبحانه وتعالى سائر الأنبياء بأسمائهم: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[1]، ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[2]، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾[4]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا

(١) [سورة البقرة، الآية ٣٥، والأعراف، الآية ١٩].
(٢) [سورة هود، الآية ٤٨].
(٣) [سورة الصافات، الآيتان ١٠٤، ١٠٥].
(٤) [سورة ص، الآية ٢٦].

﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾[1]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[2]، ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[3]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾[4]، وعندما خاطب نبينا ﷺ خاطبه خطابًا مقرونًا بشرف الرسالة أو النبوة، أو صفة إكرام وتفضل وملاطفة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[5]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[6]، وعندما شرَّفَهُ الحقُ ﷻ بذكر اسمه في القرآن الكريم ذكره مقرونًا بعز الرسالة، فقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[7].

- ومن هذه الآداب: الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ

(١) [سورة مريم، الآية ٧].
(٢) [سورة مريم، الآية ١٢].
(٣) [سورة طه، الآية ١٢].
(٤) [سورة المائدة، الآية ١١٠].
(٥) [سورة المائدة، الآية ٦٧].
(٦) [سورة الأحزاب، الآية ٤٥].
(٧) [سورة الفتح، الآية ٢٩].

﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1].

يقول ابن كثير رحمه الله: "وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الله سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا"[2].

وقد أتى رجل إلى النبي ﷺ، فقال: سمعت الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ...﴾ الآية، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: "قل: اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبْرَاهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، وَبَارك عَلَى مُحَمَّد وَعَلى آلِ مُحَمد، كَمَا بَارَكتَ عَلَى إبْرَاهيمَ إنكَ حَميد مَجِيدٌ"[3].

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٥٦].

(٢) تفسير ابن كثير، سورة الأحزاب، ٣ / ٥٥٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، باب قوله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، حديث رقم: ٤٥١٩.

-وللصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ فضائل عظيمة ومِنَح جليلة، منها: نَيْلُ رحمة الله ﷻ وعميم فضله بكثرةِ الصَّلاة والسَّلام على نبيّنا ﷺ: فإذا كانت الصلاة من الله تعني الرحمة، فإنه ﷺ قال: "... من صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى الله عليهِ عشرًا.."[1]، وقال أيضًا: "من ذُكِرْتُ عنده فَلْيُصَلّ عليَّ، ومن صلَّى عليّ مرةً صَلّى الله عليه عشرًا"[2].

ومنها:استغفارُ الملائكة: حيث يقول ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ "[3].

ومنها: نيل شفاعته ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ

(١) متفق عليه، صحيح البخاري،كتاب الأذان، باب مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُنَادِي، حديث رقم: ٦١١. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة،باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ، حديث رقم: ٨٧٥.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، ثَوَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٩٨٠٦.

(٣) سنن ابن ماجه، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٩١٠.

صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"(١)، وقال ﷺ: "أولى النَّاسِ بي يومَ القيامةِ أَكثرُهم عليَّ صلاةً"(٢).

ومنها: رفع الدرجات وحطّ الخطايا والسيئات: يقول ﷺ:"من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليهِ عشرَ صلواتٍ، وحُطَّت عنهُ عَشرُ خطيئاتٍ، ورُفِعَت لَهُ عشرُ درجاتٍ"(٣)، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: "أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ﷻ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلاةً كَتَبَ الله لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ

(١) صحيح مسلم،كتاب الصلاة، بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ لَهُ الْوَسِيلَةَ، حديث رقم: ٣٨٤ .

(٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الوِتْرِ، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم: ٤٨٤.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب السهو، بَابُ الْفَضْلِ فِي الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ١٢٩٧.

سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا"[1].

ومنها: كفاية الهموم ومغفرة الذنوب: فعن أبي بن كعب ﷺ أنه قال: يا رسولَ الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصلاةَ عليْكَ، فكم أجعَلُ لكَ من صلاتِي؟ فقال: "ما شِئْتَ"، قال: قلتُ الربعَ؟ قال: "ما شئْتَ، فإِنْ زدتَ فهو خيرٌ لكَ"، قلتُ: النصفَ؟ قال: "ما شئتَ، فإِنْ زدتَ فهو خيرٌ لكَ"، قال: قلْتُ: فالثلثينِ؟ قال: "ما شئْتَ، فإِنْ زدتَ فهو خيرٌ لكَ"، قلتُ: أجعلُ لكَ صلاتي كلَّها ؟ قال: "إذًا تُكْفَى همَّكَ ويغفرْ لكَ ذنبُكَ"[2].

– ومن الآداب التي يجب أن يتعامل بها المرء مع رسول الله ﷺ: توقير أمره ﷺ وسنته، والمبادرة إلى التزام هديه، وعدم التعامل معه ﷺ كما يتعامل بعضنا مع بعض؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ

(١) سنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب فضل الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٧٧٣، ومسند أحمد ٢٦ / ٢٧٢، حديث رقم: ١٦٣٥٢.

(٢) سنن الترمذي، جماع أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، حديث رقم: ٢٤٥٧.

كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضَاۚ﴾[1]، فقد أجمع علماء الأمة على حجية السنة النبوية، وأن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ﷻ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[3].

ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5] ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[6]، ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوۡاْ

(١) [سورة النور، الآية ٦٣].
(٢) [سورة النساء، الآية ٥٩].
(٣) [سورة آل عمران، الآية ١٣٢].
(٤) [سورة آل عمران، الآية ٣٢].
(٥) [سورة الأنفال، الآية ٤٦].
(٦) [سورة المائدة، الآية ٩٢].

فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[1].

وهو ما يقتضي أيضًا ألا نتعامل مع سنته كما نتعامل مع كلام بعضنا البعض، وهو ما أكد عليه كبار الفقهاء والعلماء؛ حيث يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "إذا قلتُ قولًا يخالف كتابَ الله تعالى، وخبرَ الرسول ﷺ فاتركوا قولي"[2].

ويقول الإمام مالك رحمه الله: "ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ"[3]، ويقول أيضًا: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"[4].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزُب عنه، فمهما قلتُ من قول أو أصّلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت،

(١) [سورة النور، الآية ٥٤].
(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار للعلَّامة صالح بن محمد الفُلَّاني، ص ٩٣.
(٣) المجموع للنووي، ١/ ١٧٥.
(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، ١/ ٧٢.

فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي"[1]، ويقول أيضًا: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت"[2].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "لا تقلّدني ولا تقلد مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخُذ من حيث أخذوا"[3]، فالإيمان به ﷺ لا يكتمل إلا بالنزول على حكمه عن رضىً وطيب نفس، فقال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[4].

- ومن هذه الآداب: التزام الأدب والوقار في مسجده ﷺ، فلا شك أن حرمة جوار رسول الله ﷺ بعد وفاته كحرمة جواره حيًّا، وقد نهى الله تعالى عن رفع الصوت عنده فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، ٢/ ٢٠٤.
(٢) المصدر السابق، ٢ / ٢٠٣.
(٣) المصدر السابق، ٢ / ١٣٩.
(٤) [سورة النساء، الآية ٦٥].

﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وقد سمع الإمام مالك رجلًا يرفع صوته في مسجد رسول الله ﷺ فقال: يا هذا، إن الله ﷻ قد ذم أقوامًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2]، وامتدح أقوامًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]، وإن حرمة رسول الله ﷺ ميتًا كحرمته حيًّا، فتأدب في مسجد رسول الله ﷺ.

* * *

(١) [سورة الحجرات، الآيتان ٢، ٣].
(٢) [سورة الحجرات، الآية ٢].
(٣) [سورة الحجرات، الآية ٣].

الأدب مع الصحابة (رضوان الله عليهم)(*)

يمثل عصر النبي ﷺ وأصحابه (رضوان الله عليهم) عصرًا فريدًا من الناحية الإيمانية والأخلاقية والسلوكية، يتطلع إليه المسلمون فيرون فيه عزة الإيمان وطهارة المبادئ والقيم، ويتلمسون ممن عاشوا فيه القدوة والأسوة، غير أن العهد كلما بَعُدَ بالناس عن هذا العصر ضعفت ذاكرتهم، فنسوا ما لأصحاب النبي ﷺ عليهم من واجب التقدير والإجلال؛ لذا كان مما يجدر بنا بين الحين والآخر أن نتحدث عن الأدب معهم؛ لنذكِّر ناسيًا، وننبه غافلًا.

- تعريف الصحابي:

الصحابي في اللغة: من الفعل "صَحِبْتُهُ أَصْحَبُهُ صُحْبَةً.. وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْإِطْلَاقِ لِمَنْ حَصَلَ لَهُ رُؤْيَةٌ وَمُجَالَسَةٌ(٢)،

(*) أعد هذا المبحث د/ أحمد عبد الهادي علي، مدير إدارة المراكز الثقافية.
(٢) المصباح المنير: لأبي العباس الفيومي (ت٧٧٠هـ)، ١/ ٣٣٣.

وفي الاصطلاح: "مَنْ لَقِيَ النَّبيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ"[1]، وقد بلغ عدد الصحابة حين "قبض رسول الله ﷺ نحو مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة الذين رأوا رسول الله أو سمعوا منه"[2] ﷺ.

والنصوص كثيرة متواترة في فضلهم وعلو مكانتهم، وهي "تقتضي طهارتهم والقطع على تعديلهم ونزاهتهم؛ فلا يحتاج أحد منهم - مع تعديل الله تعالى لهم، المطَّلع على بواطنهم - إلى تعديل أحد من الخلق له"[3]. وأحاول في هذه السطور بيان بعض ما يجب علينا تجاه الصحابة من آداب، فمن ذلك:

- معرفة فضلهم ومنزلتهم في الإسلام، وقد جاءت بفضلهم الآيات والأحاديث الكثيرة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ

(١) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ضمن كتاب سبل السلام)، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ص ٢٣٠.
(٢) شرح التبصرة والتذكرة لزين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، ٢/ ١٣٥ بتصرف.
(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، ص ٤٩.

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]، ويقول ﷺ: "إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ بِي أَصْحَابًا.."[2]، وفي لفظ: "إِنَّ اللهُ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا.."[3]، فالله ﷻ المطلع على قلوب العباد هو من اختار للنبي ﷺ أصحابه من بين الناس، فهم اصطفاء بارئ الخلق لسيد الخلق، يقول عَبْدُ الله بْن مَسْعُودٍ: "إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ.."[4].

– ومنها: الترضي عليهم عند ذكرهم، فيجب أن نتحدث عنهم بما هم أهله من الإجلال والتقدير؛ فقد ترضى الله في عليائه عنهم؛ فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[5]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ

(١) [سورة التوبة، الآية ١٠٠].
(٢) المستدرك للحاكم،كتاب معرفة الصحابة، ذكر عويم بن ساعدة ﷺ، حديث رقم: ٦٦٥٦.
(٣) المعجم الكبير للطبراني، ١٧/ ١٤٠، حديث رقم: ٣٤٩.
(٤) مسند أحمد، ٦ / ٨٤، حديث رقم: ٣٦٠٠.
(٥) [سورة الفتح، الآية ١٨].

﴿ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]، واتباعهم بإحسان يعني أن نذكرهم بالدعاء، وتعداد المحاسن[2]، وإذا ورد ذكر لأحدهم أعقبناه بقولنا: ﷺ[3]، ولا نذكرهم كآحاد الناس، وليكن لنا في سيدنا عمر ﷺ الأسوة الحسنة، فهو على عظيم قدره يذكر سيدنا أبا بكر وسيدنا بلال ﷺ فيقول: "أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا"[4].

– ومن الآداب في التعامل مع الصحابة كذلك: الاقتداء بهم، فالصحابة هم من رباهم النبي ﷺ على عينه، وكان الوحي يتنزل عليه وهو بين أظهرهم، يؤدبهم ويطهرهم؛ فينبغي على المسلم أن يتخذهم قدوة، فقد ذكر الله تعالى في كتابه أن من اتبع هداهم حاز رضوانه وأورثه جنانه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[5]، ويقول سيدنا ابْنُ مَسْعُودٍ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ

(١) [سورة التوبة، الآية ١٠٠].
(٢) راجع: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٣ / ٥٢١.
(٣) راجع: التقريب والتيسير لمحيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، ص ٦٨.
(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح، حديث رقم: ٣٥٤٤.
(٥) [سورة التوبة، الآية ١٠٠].

مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حَالًا، اخْتَارَهُمُ الله لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ"[1].

- ومنها: العلم بأن اختلافهم في الاجتهاد في الرأي سعة في التشريع ورحمة، فاختلاف الناس في منازعهم فطرة أرادها الله لهم؛ ليثروا الحياة بأفكارهم، وقد أقر الرسول ﷺ هذا التنوع في أصحابه، فحين اختلف أبو بكر وعمر (رضوان الله عليهما) في الموقف من أسرى بدر، فرأى الفاروق قتلهم؛ ليعلم الله من قلوبهم أنها خلت من الولاء إلا له ولدينه، ورأى الصديق قبول الفدية منهم، يستعان بها عليهم، ولعل الله أن يفتح قلوبهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ... إِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، قَالَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء، ٢ / ١٩٧، حديث رقم: ٩٢٦.

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى قَالَ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[3]، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى، قَالَ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[4].[5]، فأبان الرسول ﷺ أن الاختلاف في المنازع قديم، وأن الاختلاف لا ينافي أن يكون كلا المختلفين على صلاح وتقوى.

إن "اختلاف الصحابة رضي الله عنهم إنما نشأ عن اجتهاد، ولهم محامل ولذلك كان اختلافهم رحمة"[6]، يقول عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "مَا يَسُرُّنِي بِاخْتِلَافِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ

(١) [سورة إبراهيم، الآية ٣٦].
(٢) [سورة المائدة، الآية ١١٨].
(٣) [سورة نوح، الآية ٢٦].
(٤) [سورة يونس، الآية ٨٨].
(٥) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب قسم الفيء، باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال، حديث رقم: ١٢٦٢٣.
(٦) التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي (ت ١٠٣١هـ)، ٢/ ٤٨.

حُمْرُ النَّعَمِ؛ لَأَنَّا إِنْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ هَؤُلَاءِ أَصَبْنَا، وَإِنْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ هَؤُلَاءِ أَصَبْنَا"[1].

- ومنها: حمل أفعالهم على أحسن وُجُوهها، فالصحابة قد قدموا في سبيل هذا الدين أغلى ما يمتلكون، فلا يقبل عقلًا أن يتعمدوا الخطأ لعَرَض من الدنيا قليل، ويجب علينا أن نحمل أفعالهم على أحسنِ محاملها الممكنة، وأن نعلم أنه اجتهاد يطلب الصواب، ولنا فيما فعله رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فحين كتب سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى أهل مكة يخبرهم بمسير الرسول إليهم في فتح مكة، وكان ﷺ قد تكتم الأمر تجنبًا لإراقة الدماء، وكان سيدنا حاطب رضي الله عنه يريد أن تكون له يد عند أهل مكة؛ لئلا ينالوا أهله بأذى، فلما أَعْلَمَ ﷺ بالأمر رد الرسالة قبل وصولها إلى أهل مكة، وأشار عليه سيدنا عمر رضي الله عنه بأن يقتل حاطبًا؛ لظنه أنه قد نافق، فأبان الرسول ﷺ أن النفاق لا يجد طريقه إلى أهل بدر، فقال: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[2].

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت: ٤٦٣هـ)، ٢ / ١١٧.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، حديث رقم: ٢٨٤٥، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة، حديث رقم: ٢٤٩٤.

- ومنها: حبهم والحذر من تنقيصهم أو سبهم، فقد أبان النبي ﷺ أن من أحبهم فقد أحبَّه، ومن أبغضهم فقد أبغضَه، فقَالَ: "الله الله فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي.."[1]، ويقول ﷺ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه"[2]، أي أن أحدنا لو أنفق مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ ثوابه ثواب نفقة أحدهم مدًّا ولا نصف مدّ[3].

* * *

(١) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب فيمن سبَّ أصحاب النبي، حديث رقم: ٣٨٦٢.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلًا"، حديث رقم: ٣٤٧٠، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ٢٥٤١.

(٣) راجع: شرح النووي لصحيح مسلم، ١٦/ ٩٣، ٩٤.

آداب معاملة الوالدين(*)

لقد استوعبت شريعة الإسلام كل مناحي الحياة وشئونها، فلم تَدَعْ خيرًا إلا ودَعَتْ إليه، ولم تَدَعْ شرًّا إلا وحذرت منه، فدعت إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب التي تنظم حياة الناس، والتي لو التزموا بها لعاشوا حياة طيبة كريمة، وسعدوا في دنياهم وأخراهم، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾(٢)، ومن هذه الآداب التي حثت عليها ورغبت فيها: آداب التعامل مع الوالدين، وذلك إكرامًا لهما، واعترافًا بجميلهما، فالوالدان هما سببُ وُجودِ الأبناء في هذه الدنيا بعد مشيئة الله تعالى، ويكفي بيانًا لعِظَم حق الوالدين، أن الله تعالى قَرَنَ حقهما في البرّ والإحسان

(*) أعد هذا المبحث د/ عمرو محمد الكمّار، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة.
(٢) [سورة الجن، الآية ١٦].

بحَقِهِ في العبادة والتوحيد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2]، كما قرن شكره تعالى بشكر الوالدين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[3]، وشكرُ الوالدين يكون بأداء حقوقهما التي أوجبها الله تعالى وحث عليها رسوله ﷺ.

فالأم تُرْضِع ولدها حولين كاملين أو تكاد، وتسهر ليلها عند رأس ولدها إن مرض أو نزل به ألم؛ لذا خصّها الله تعالى بالذكر في وصيته بالإحسان إلى الوالدين، فقال ﷻ: ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[5].

(١) [سورة الإسراء، الآية ٢٣].
(٢) [سورة النساء، الآية ٣٦].
(٣) [سورة لقمان، الآية ١٤].
(٤) [سورة الأحقاف، الآية ١٥].
(٥) [سورة لقمان، الآية ١٤].

وقد قدمها النبي ﷺ على الأب في البرّ والصلة والإحسان؛ لعظم حقها، فقد اختصت الأم بثلاثة أمور: الحمل، والوضع، والرضاع، فأكد على حقها قبل حق الأب ثلاث مرات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَنْ أحقّ النّاس بحُسْنِ صحابتي؟ قال: "أمّك" قال: ثمّ من؟ قال: "ثمّ أمّك"، قال: ثمّ من؟ قال: "ثمّ أمّك"، قال: ثمّ من؟ قال: "ثمّ أبوك"[1]، ثم جاءت الوصية بحسن صحبة الأب الذي يعمل ليل نهار في كد وتعب من أجل أن يوفر لأسرته ما يحتاجونه ويطلبونه من المطعم والمشرب والملبس والمسكن.

فمهما قدّم الأبناء من برٍّ لوالديهم فلن يوفوهما حقهما؛ لأنهما من بدأ بالإحسان، وبرُّ الأبناء إنما هو مكافأة، وليس الواصل كالمكافئ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يَجْزي وَلَدٌ وَالِدًا إلا أن يجدَه

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، حديث رقم: ٥٩٧١، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ، حديث رقم: ٢٥٤٨.

مملوكًا فيشتريه فيُعتِقه"[1]، وقد أَتَى رجل إلى سيدنا عُمَرَ بن الْخَطَّاب ﷺ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِي أُمًّا بَلَغَهَا مِنَ الْكِبَرِ أَنَّهَا لَا تَقْضِي حَاجَةً إِلَّا وَظَهْرِي مَطِيَّةٌ لَهَا، فَهَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا؟ قَالَ: "لَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكَ وَهِيَ تَتَمَنَّى بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِهَا وَأَنْتَ تَتَمَنَّى فِرَاقَهَا"[2].

- من أجل ذلك شرع الإسلام لبر الوالدين آدابًا يتأدب بها الولد في تعامله معهما، منها:

- وجوب طاعتهما في المعروف، مع البر بهما، والإحسانُ إليهما، وكمال توقيرهما، مع الاعتراف الدائم بفضلهما ومكانتهما، والتواضع لهما، قال تعالى: ﴿ **وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ** ﴾[3]، وأن يأخذوا بمشورتهما، فهما أهل التجربة في الحياة والصدق في النصيحة، وهما أحق الناس بعطفك ورفقك ورحمتك وتواضعك ومعروفك، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ

(١) صحيح مسلم، كتاب العتق، بَابُ فَضْلِ عِتْقِ الْوَالِدِ، حديث رقم: ١٥١٠.
(٢) الجامع في الحديث لأبي محمد ابن وهب المصري (المتوفى: ١٩٧هـ) باب الأسماء، حديث رقم: ٩٠.
(٣) [سورة الإسراء، الآية ٢٤].

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي وَجْهَ الله وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَقَدْ أَتَيْتُ وَإِنَّ وَالِدَيَّ لَيَبْكِيَانِ، قَالَ: "فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا"(١).

إن بر الوالدين من أفضل الأعمال التي يتقرّب بها العبد إلى ربه، وقدَّمه ﷺ على الجهاد في سبيل الله حال كونه فرض كفاية، فأوقف الجهاد على إذن الوالدين، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله"، قَالَ: "حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي"(٢).

كذلك من البر عدم السفر إلا بإذنهما، فعن عَبْد الله ابْن عَمْرٍو ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: "أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، بَابُ الرَّجُلِ يَغْزُو وَلَهُ أَبَوَانِ، حديث رقم: ٢٧٨٢.
(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٨]، حديث رقم: ٥٩٧٠، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِالله تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: ٨٥.

"فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"[1]، وعدَّ ابن عباس ﷺ بر الوالدة من أهم أسباب قبول التوبة ومغفرة الذنوب، فعنه ﷺ، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: "أُمُّكَ حَيَّةٌ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "تُبْ إِلَى اللهِ ﷻ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ". فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: "إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللهِ ﷻ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ"[2]، فإنْ كان طلبُ الوالدين في معصية الله، أو مما لا طاقة للأبناء به، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، لكن ينبغي أن يُرَدّ ذلك برفق ولين وحُسْن اعتذار، وفي ذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[3].

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ الجِهَادِ بِإِذْنِ الأَبَوَيْنِ، حديث رقم: ٣٠٠٤، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ، حديث رقم: ٢٥٤٩.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ بِرِّ الْأُمِّ، حديث رقم: ٤.

(٣) [سورة لقمان، الآية ١٥].

- كذلك من الأدب مع الوالديْن: كمال رعايتهما عند الكبَر، فأشدّ فترةٍ في حياتهما تلك التي يعتريهم فيها الهرَم والوهَن، فيحتاج عندها الآباء إلى الأبناء، لذا خصّ الله تعالى هذه المرحلة بالذكر عند حديثه عن الإحسان للوالدين، فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1]، أي إذا بلغ الوالدان الكِبَرَ أحدُهما، وهما في كنفك وكفالتِك، فيجبُ عليك أن تحنوَ عليهما، فلا تتأففْ ولا تتضجّرْ، وقل لهما قولًا لينًا جميلًا مهذبًا، مع التواضع وخفض الجناح، فالإحسان للوالدين فرصة لمضاعفة الأجْر والثواب، وويل لمن ضيّعها بالعقوق وترك البر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ" قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: "مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ"[2].

(١) [سورة الإسراء، الآيتان ٢٣، ٢٤].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، حديث رقم: ٢٥٥١.

-كذلك من الأدب مع الوالدين: الإنفاق عليهما بالمعروف إن كانا فقراء محتاجين، فتُسدّ حاجاتهما من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ودواء، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ"(١)، وعن عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَى أَعْرَابِيٌّ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي؟ قَالَ: "أَنْتَ وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ، إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَمْوَالَ أَوْلَادِكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا"(٢).

- ومن الأدب مع الوالدين برّهما بعد مماتهما: فبرّ الوالدين مستمر حتى بعد الموت، فلهما حقوق وبرّ بعد رَحيلهما، فعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضي الله عنه، صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا بِهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ خِصَالٌ أَرْبَعَةٌ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا،

(١) سنن ابن ماجه، كِتَابُ التِّجَارَاتِ، بَابُ مَا لِلرَّجُلِ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ، حديث رقم: ٢٢٩٠.
(٢) مسند أحمد ١١/ ٢٦١، حديث رقم: ٦٦٧٨ .

وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا، فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا"[1]، فتلك فرصة ثانية لمن قصّر في برّ والديه في حياتهما، أو كان صغيرًا عند وفاتهما فلم يحظ بشرف برهما أن يستدرك ما فاته من البرّ بهذه الأمور الأربعة، ومن بر الوالدين بعد وفاتهما: الدعاء لهما، فدعاء الأبناء الصالحين للوالدين يعد من عمل الوالد الذي لا ينقطع أجره بوفاته؛ بل يستمرّ أجرُه وثوابه للوالدين بعد رحيلهما، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[2]، وعدّ النبي ﷺ دعاء الولد من عمل الوالد؛ لأن الولد من سعي أبيه.

وبالدعاء للوالدين ترْفعُ درجتهما في الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ ﷻ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ"[3].

(١) مسند أحمد ٢٥ / ٤٥٧، حديث رقم: ١٦٠٥٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الوصية، بابُ مَا يَلْحَقُ الإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم: ١٦١٣.
(٣) مسند أحمد، ١٦/ ٣٥٦، رقم: ١٠٦١٠.

ومن برّ الوالدين بعد وفاتهما: صلة أقاربهما وأهلِ وُدِّهما: ففي صلة رحمهما وأهل وُدّ الوالدين من الأحباب والأصدقاء برّ بالوالدين بعد موتهما، فعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر ﷺ، أن رجلًا من الأعراب لقِيَهُ بطريق مكة، فسلمَ عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبُه، وأعطاه عِمامة كانتْ على رأسِه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحكَ الله، إنهم الأعرابُ، وإنهم يَرْضَوْنَ باليَسير، فقال عبد الله: إنّ أبا هذا كان وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الخطاب، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ"[1].

- ومن الأدب مع الوالدين بعد وفاتهما: إنفاذ عهدِهما وقضاءُ دَيْنِهما؛ فمن مات والِداه وتركا دَيْنًا عليهما، أو وصية من بعدهما، وجب على الأبناء أن يَقضوا عنهما الدّيْن، وأن يُؤدّوا وصيتهما، فعَنْ عَبْدِ الله ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهَا (أمي) كَانَ عَلَيْهَا

(١) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِكْرَامِ صَدِيقِ الوَالِدِ، حديث رقم: ١٩٠٣.

صَـوْمُ شَـهْرٍ، أَفَأَصُومُ عَنْهَـا؟ قَالَ: "صُومِي عَنْهَـا"، قَالَتْ: يَـا رَسُـولَ الله، إِنَّهَـا لَمْ تَحُجَّ قَـطُّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَـالَ: "نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَـا"[1].

ومن برّ الوالدين بعد وفاتهما أيضًا: قضاء ما عليهما من نذر؛ فمن مات من الوالدين وعليه نذر طاعة معينة، كالصوم أو الحج أو الصدقة أو غير ذلك من الطاعات، ولم يتمكن من الوفاء بنذره قبل موته، فمن برّ أبنائه به أن يَقضوا عنه نذرَه إن كان في استطاعتهم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ﷺ اسْتَفْتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ، فَقَالَ: "اقضِهِ عَنْهَا"[2].

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، بَابُ قَضَاءِ الصِّيَامِ عَنِ الْمَيِّتِ، حديث رقم: ١١٤٩.
(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ لِمَنْ تُوُفِّي فُجَاءَةً أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَنْهُ، وَقَضَاءِ النُّذُورِ عَنِ الْمَيِّتِ، حديث رقم: ٢٧٦١.

آداب الطعام والشراب(*)

لقد ترك لنا النبي ﷺ ميراثًا نبويًّا عظيمًا من الآداب الشريفة عند تناولنا الطعام والشراب على الرغم من اختلاف أعمارنا وتنوع بيئاتنا، ولعل من أهمها أن يتحرى كل منا الكسب الحلال، فيطيب طعامه وشرابه مما أحله الله له بعيدًا عن الكسب الحرام، امتثالًا لأمر الله (تعالى): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾(٢)، فلا يأكل إلا حلالًا، ولا يطعم أولاده إلا طيبًا، بل على المسلم أن ينأى بنفسه عن مواضع الشبهات.

وهذه الآداب التي سنّها نبينا ﷺ للطعام في مجملها تحافظ على صحتنا فتعد من باب الوقاية، وتعيننا على أداء مهمتنا في الحياة، مما يدلّ على عظمة هذا الدّين وشموليته لجميع جوانب الحياة.

(*) أعد هذا المبحث د/ أشرف فهمي موسى، مدير عام التدريب.

(٢) [سورة البقرة، الآية ١٧٢].

فمن هذه الآداب: غسل اليدين قبل الأكل حفاظًا على صحة الإنسان من التلوث؛ فإن لم نغسل أيدينا كنا عرضة لانتقال الأمراض والأوبئة، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ، يَتَوَضَّأُ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ، أَوْ يَشْرَبَ، غَسَلَ يَدَهُ، ثُمَّ أَكَلَ وَشَرِبَ"[1]، ويقول نبينا ﷺ: "بَرَكَةُ الطعامِ الوضوءُ قَبلَه، والوضوءُ بَعدَه"[2]، والمقصود هنا بالوضوء هو المعنى اللغوي، ويعني غسل اليدين، فيستحب غسل اليدين قبل الطعام وبعده، حتى وإن كان المرء على وضوء.

- ومنها: البسملة أو التسمية، وهي سنة متبعة في أول الطعام تربط المسلم بالمنعم سبحانه وتعالى فيذكره بالنعم وبأن هذا الرزق من الله تعالى، وكل شيء يبدأ بالبسملة تحصل له من البركة والخير ما شاء الله له، وأي عمل لا يبدأ بذكر الله ﷻ تَقِل بركته، يقول نبينا ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ

(١) مسند أحمد ٤٣/ ٣٩٥، حديث رقم: ٢٦٣٨٣.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب غسل اليد عند الطعام، حديث رقم: ٣٧٦١.

إِذَا لَمْ يُذْكَر اسْمُ الله عَلَيْهِ"[1]، وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ معلمًا الغلام الصغير: "يَا غُلَامُ سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ"[2]، ومن نسي التسمية أول الأكل جاز له التسمية أثناء الأكل، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إذا أكل أحدُكُم فليذكُرِ اسمَ الله، فإن نَسِيَ أن يَذكُرَ اسمَ الله في أوَّلِه فليقُلْ: باسم الله أوَّلَهُ وآخِرَهُ"[3].

– ومنها: الدعاء قبل الطعام، فمن هدي نبينا ﷺ قبل تناول الطعام أن ندعو لأنفسنا ببركة الطعام، فعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ نبينا ﷺ قَالَ: "مَنْ أَطْعَمَهُ الله طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ الله لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ"[4].

ومنها: الْأَكْلُ بِاليد اليمنى، فكان من هدي نبينا ﷺ التيامن في كل أموره، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

(١) مسند أحمد، ٣٨/ ٢٨٤، حديث رقم: ٢٣٢٤٩.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، بَابُ الْأَكْلِ بِالْيَمِينِ، حديث رقم: ٣٢٦٧.
(٣) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، حديث رقم: ٣٧٦٧.
(٤) مسند أحمد، ٣/ ٤٣٩، حديث رقم: ١٩٧٨.

كَان النَّبي ﷺ يُعْجبُه التَّيمن في تَنعله وتَرَجُله وطهوره وفي شَأنه كُله"[1]، وقد علّمه ووصّى به نبينا ﷺ فقال:"يَا غُلَامُ، سَمِّ الله وَكُلْ بِيَمِينِك، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيك"[2]، ونهى ﷺ أن يأكُل بشمالِهِ ما لمْ يكن له عذر، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال:"لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا"[3]، فَإِنْ كَانَ له عذر يَمْنَعُه من الأَكل أو الشرب باليمين فلا حرج من استعمال اليد اليسرى عملًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4].

ومنها: حسن مضغ الطعام والأكل مما يلي الآكل، فمن هديه ﷺ أَنْ يأكلَ الإنسان مما يَلِيهِ فِي الطَّعَامِ مباشرة، فالأكل من موضع الآخرين سوء أدب، لما ورد عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال

(١) مسند أحمد، ٤١/ ١٧٤، حديث رقم: ٢٤٦٢٧.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، بَابُ الْأَكْلِ بِالْيَمِينِ، حديث رقم: ٣٢٦٧.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا، حديث رقم: ٢٠٢٠.
(٤) [سورة الحج، الآية ٧٨].

لي رسول الله ﷺ: "يَا غُلَام، سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِك وَكُلُّ مِمَّا يَلِيك"[1]، وقد ثبتت علميًّا فوائد مضغ الطعام، فهو يسهل عملية البلع والهضم، كذلك الوقاية من أمراض المعدة والقولون.

- ومن الآداب كذلك: عدم الأكل متكئًا، فعن عبدِ الله بنِ عمرو رضي الله عنهما، قال: "ما رُئِيَ رَسولُ الله ﷺ يأكُلُ مُتكِئًا قَطُّ"[2]، وعن وهب بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "لا آكلُ مُتَّكِئًا"[3]، وذلك لما فيه من الضرر الصحي، وقد يورث في نفس الإنسان الكبر والتعالي.

- ومنها: عدم ذم الأكل أو تقبيحه، فلم يذم ﷺ طعامًا قط؛ بل يسأل عن الطعام الذي لا يعرفه، فقد كان رسول الله ﷺ لا يأكل طعامًا حتى يسمى له فيعرف ما هو، ومن ذلك حديث الضب الذي لم يأكله رسول الله ﷺ، أما ما يفعله البعض من عيب الطعام وذمه فليس من هدي نبينا ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "مَا

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئًا، حديث رقم: ٣٧٧٠.
(٣) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئًا، حديث رقم: ٣٧٦٩.

رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَابَ طَعَامًا قَطُّ، كَانَ إِذَا اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِذَا لَمْ يَشْتَهِهِ سَكَتَ"[1].

- ومنها: عدم العجلة في مد الأيدي إلى الطعام، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: "كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ"[2]، ويقول الشاعر:

وإِنْ مُدَّتْ الأَيْدِي إِلى الزَّادِ لَمْ أُكُنْ

بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَومِ أَعْجَلُ[3]

- ومنها: الاعتدال في كمية الطعام والشراب وعدم الإسراف فيه، فالأكل الكثير يؤدي إلى التخمة والبطنة، ويسبب المرض، ويورث الكسل والنوم، وهو شر على الإنسان، لقوله ﷺ: "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"[4].

---

(١) مسند أحمد ١٥/ ٢١٣، حديث رقم: ٩٥٠٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأَشْرِبَةِ، بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا، حديث رقم: ٢٠١٧.

(٣) سكب الأدب على لامية العرب لسليمان بك بن عبد الله بك الشاوي، ص: ١٣٤.

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي الْأَكْلِ، وَكَرَاهَةِ الشِّبَعِ، حديث رقم: ٣٣٤٩.

- ومن الآداب كذلك عدم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة؛ لنهيه ﷺ الصريح عن ذلك، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَلَا فِي الْفِضَّةِ، وَلَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ"(١)، ولما فيه من التبذير والمخيلة والكبر.

- ومنها: عدم النفخ في الطعام الحار، وترك التنفس في الإناء: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ "نهى أن يُتنَفَّسَ في الإناء أو يُنفَخَ فيه"(٢).

- ومنها: عدم الشرب من فيِّ السقاء مباشرة؛ بل يصب في إناء ثم يشرب، فربما يكون الماء غير صالح للشرب، أو آوت إلى القربة - أو ما يشبهها من أواني جمع الماء- هامة من هوام الأرض فتؤذي من يشرب من فم القربة مباشرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ القِرْبَةِ أَوِ السِّقَاءِ"(٣).

(١) مسند أحمد، ٣٨/ ٣٨٥، حديث رقم: ٢٣٣٦٤.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه، حديث رقم: ٣٧٢٨.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، بَابُ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ السِّقَاءِ، حديث رقم: ٥٦٢٧.

- ومنها: غسل اليدين والفم بعد تناول الطعام، فبقاياه في اليدين والفم قد تُشكل جوًّا لتكاثر الجراثيم، وتتحول إلى خطر يداهم سلامة الجسم، فالغسل يحافظ على صحة الإنسان ويقيه من الأمراض، وهذا من هديه ﷺ كما مرَّ في أول آداب الأكل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "شَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَبَنًا ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَمَضْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ لَهُ دَسَمًا"[1].

- ومنها: الدعاء بعد الفراغ من الطعام والشراب، فقد كان نبينا ﷺ إذَا فرغ من طعامه قَال: "الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا"[2]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللهَ ﷻ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"[3].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، التاسع والثلاثون (المطاعم والمشارب وما يجب التورع عنه منها)، الفصل الرابع: في آداب الأكل والشرب وغسل اليد قبل الطعام وبعده، حديث رقم: ٥٤٣٧.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طَعِمَ، حديث رقم: ٣٨٤٩.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي، التاسع والثلاثون (المطاعم والمشارب وما يجب التورع عنه منها)، فصل في ما يقول إذا فرغ من الطعام، حديث رقم: ٥٦٤٦.

– ومن الآداب كذلك: تغطية أواني الطعام والشراب؛ لحمايتها من الذباب والغبار، ومن الجراثيم، وقد كان هذا من هديه ﷺ حيث قال فيما رواه سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ"(١).

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِتَغْطِيَةِ الْإِنَاءِ وَإِيكَاءِ السِّقَاءِ، وَإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ، وَذِكْرِ اسْمِ اللهِ عَلَيْهَا، حديث رقم: ٢٠٢١.

آداب اللباس والزينة(*)

مما لا شك فيه أن الإسلام دين التجمل والتزين ظاهرًا وباطنًا، وقد وضع آدابًا عامة للباس والزينة ينبغي أن يمتثل لها المسلم، ولم يفرض قالبًا جامدًا لنوع معين من الثياب، سواء للرجال والنساء، بل شرع ما تتحقق به الغاية من التستر والزينة والجمال دون كبر أو إسراف أو مخيلة أو تشبه بغير جنس لابسه أيًّا كان مسماه.

واللّباس هو: ما يستر البدن ويدفع الحرّ والبرد، يقال: لَبِسَ الثَّوْبَ يَلْبَسُه لُبْسًا وأَلْبَسَه إياه، وأَلْبَس عَلَيْكَ ثوبَك. وَثَوْبٌ لَبِيس إذا كَثُرَ لُبْسُه، وقيل: اللُّبْسُ بالضم مصدر قولك لَبِسْتُ الثوبَ أَلْبَسُه، والزّوج والزّوجة كل منهما لباس للآخر، وفي التّنزيل العزيز: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ

(*) أعد هذا المبحث د/ رمضان عفيفي بحيري، مدير عام المراكز الثقافية.

لَّهُنَّ﴾[1]، ولباس كلّ شيءٍ غشاؤُه، ولباس التّقوى الإيمان والحياء والعمل الصّالح[2].

فاللّباس اسم لما يلبَسه الإنسان أي يستُر به جزءًا من جسده، فالقميص لباس، والإزار لباس، والعمامة لباس، ويقال: لبس التّاج ولبس الخاتم[3]، والزينة: هي كل ما يتزيّن به، ويوم الزّينة يوم العيد، والزّين ضد الشّين، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغويّ، والزّينة أعم من اللّباس[4].

- عناية الإسلام باللباس والزينة:

لقد جاء الإسلام بتكريم الإنسان، واحترام آدميّته، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[5]، فأنعم عليه بنعمه الّتي لا تعدّ ولا تحصى، ومن جملتها اللّباس؛ ليستر الإنسان به عورته، ويتزيّن ويتجمّل بدلًا من قبح العري

(١) [سورة البقرة، الآية ١٨٧].
(٢) لسان العرب، ٦/ ٢٠٢، المعجم الوسيط، ٢/ ٥٤٢.
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٨/ ٧٤.
(٤) المعجم الوسيط، ١/ ٨٥١، الموسوعة الفقهية الكويتية، ٣٧/ ١٩٣.
(٥) [سورة الإسراء،الآية ٧٠].

الّذي كان متفشّيًا قبل الإسلام، وحفاظًا لإنسانيّته، يقول الله تعالى ممتنًّا على خلقه جميعًا: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1]، يقول الطاهر بن عاشور: هذا تنبيه إلى أنّ اللّباس من أصل الفطرة الإنسانيّة، والفطرة أوّل أصول الإسْلام، وكونه ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ صفة مَدح اللّباس، أي من شأنه ذلك، وإن كان كثير من اللّباس ليس لمواراة السوآت مثل العمامة والبرد والقباء، والرّيش لباس الزّينة الزائد على ما يستر العورة، وهو مستعار من ريش الطّير لأنّه زينته، ويقال للباس الزّينة رِياش، والمعنى ينالكم لباسًا يستركم ولباسًا تتزيّنون به[2].

ويذكرنا الله تعالى بأن اللباس كما يكون للزينة ولستر العورة، يكون كذلك للوقاية مما يضر، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ

(١) [سورة الأعراف، الآية ٢٦].
(٢) التحرير والتنوير، ٨/ ٧٥.

مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[1].

وقد أمر الله تعالى بالتزين خاصة في مواضع اجتماع الناس كالمساجد، فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[2]، فالتجمل والتزين فوق ستر العورة أمر مرغوب فيه، فعليكم يا بني آدم أن تتجملوا بما يستر عورتكم، وأن تتحلوا بلباس زينتكم كلما صليتم أو طفتم، وقد كان السلف الصالح يقفون بين يدي الله في عبادتهم وهم في أكمل زينة، فهذا الإمام الحسن بن علي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة لبس أحسن ثيابه؛ فقيل له: يا ابن بنت رسول الله، لم تلبس أجمل ثيابك؟ فقال: إنَّ الله جميل يحب الجمال، فأنا أتجمل لربي؛ لأنه هو القائل: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[3]، وعن جابر ﷺ قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلًا شعثًا قد تفرق شعره؛ فقال:

(١) [سورة النحل، الآية ٨١].
(٢) [سورة الأعراف، الآية ٣١].
(٣) التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي، ٦/ ٢٦٤.

"أما وجدَ هذا ما يُسَكِّنُ بِهِ شعرَهُ؟!"، ورأى رجلًا آخرَ وعليه ثياب وسخة، فقال:"مَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ؟!"[1].

ومن آداب اللباس والزينة:

- أن يكون لبسه من غير بَطَرٍ ولا تكبُّرٍ ولا استعلاء على غيره، إنما هو الاعتدال والتوسط، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ"، قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قال: "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"[2]، بل يكون لبسه شكرًا لله على نعمه، وأن يظهر ذلك على هيئته وملبسه؛ لقوله ﷺ: "إِنَّ اللهَ يحبُّ أن يُرى أَثَرُ نِعَمِتِه على عَبدِه"[3].

فخير الأمور أوسطها، فشأن المسلم في اللباس والزينة المباحة هو التوسط بلا إسراف ولا تقتير؛ فالله

(١) سنن أبي داود،كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخُلقان، حديث رقم: ٤٠٦٢.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ٩١.
(٣) سنن الترمذي، أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب إنَّ اللهَ يحبُّ أن يرى أثَر نعمتِه على عبدِه، حديث رقم: ٢٨١٩.

تعالى يقول في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ"[2]، فالتحلي بالتواضُعِ في الثِّيابِ هو سنة رسول الله ﷺ، فعن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: ذكَرَ أصحابُ رَسولِ الله ﷺ يومًا عِندَه الدُّنيا، فقال رسولُ الله ﷺ: "ألا تَسْمَعونَ، ألا تَسْمَعونَ، إنَّ البَذاذةَ مِن الإيمانِ، إنَّ البَذاذةَ مِن الإيمان"[3]، والمرادُ بها ترك المبالغة في التَّرفُّهِ، كما أكد النبي ﷺ على التجمل والاعتناء بالهيئة عند لقاء الناس والاجتماع بهم، في قوله "إنَّكم قَادِمون عَلى إخوَانِكم فأصلِحُوا رِحَالَكم، وَأَصْلِحوا لِباسَكم حَتى تَكُونوا كأنَّكم شَامةٌ في النَّاسِ، فإنَّ اللهَ لا يحبُّ الفُحشَ ولا التَّفحُّشَ"[4]، فعندما تدخلون على أحد من سفر ونحوه فتزينوا وتجمّلوا حتى يعرفكم الناس بذلك كأنكم شامة في الناس.

(١) [سورة الفرقان، الآية ٦٧].

(٢) مسند أحمد ١١ / ٢٩٤، حديث رقم: ٦٦٩٥.

(٣) سنن أبي داود، أول كتاب الترجُّل، حديث رقم: ٤١٦١.

(٤) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث رقم: ٤٠٨٩.

- ومنها، أن يكون الثوب ساترًا لعورة الرجل والمرأة، وعورة الرجل من السرة إلى الركبة، وعورة المرأة جسدها كله ما عدا الوجه والكفين، وأن يكون فضفاضًا واسعًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾[2].

- ومنها: ألَّا يكون الثوب رقيقًا شفَّافًا يشفّ عن العورة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال: "يا أسماءُ إنَّ المَرأةَ إذا بلغتِ المَحيضَ لم يَصلُحْ أن يُرى منها إلّا هذا وَهَذا، وأشارَ إلى وجهِهِ وَكَفَّيهِ"[3].

كذلك ألَّا يكون الثوب محرّمًا كالحرير أو الثوب المنسوج بالذّهب والفضّة للذّكور، فعن أبي موسى رضي الله عنه

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٥٩].
(٢) [سورة النور، الآية ٣١].
(٣) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها، حديث رقم: ٤١٠٤.

أنّ رسول الله ﷺ قال: "أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِلْإِنَاثِ مِنْ أُمَّتِي، وَحُرِّمَ عَلَى ذُكُورِهَا"(١)، ففي هذا الحديث دليل على جواز استعمال الذّهب وكذلك الحرير للنّساء بسائر وُجُوه الاستعمال(٢).

- وينبغي ألَّا يكون ثوب شهرة أو اختيال؛ لقوله ﷺ: "مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ"(٣)، والمقصود أن لا يلبس الشخص ثوبًا غير معهود يشتهر به بين الناس لمخالفة لونه أو شكله لما تعارف عليه مجتمعه، فيرفع الناس إليه أبصارهم، فيكون سببًا للمباهاة والافتخار عليهم، وهذا أمر لا يحبه الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾(٤)، وقال: "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرْ الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٥).

- ومن آداب اللباس كذلك: ألَّا يكون في ثياب المرأة تشبه بالرجل، ولا في ثياب الرجل تشبه بالمرأة،

(١) سنن النسائي، كتاب الزينة، تحريم الذهب على الرجال، حديث رقم: ٥١٤٨.
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٦/ ١٣١، ٣٧/ ١٩٥.
(٣) سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، من لبس شهرة من الثياب، حديث رقم: ٣٦٠٦.
(٤) [سورة لقمان، الآية ١٨].
(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٦٦٥.

فعن ابن عباس ﷺ قال: "لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنْ النِّسَاءِ"، وفي رواية: "لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ"[1]، ولعل الحكمة من التحريم؛ أن المتشبه والمتشبهة كل منهما يخرج نفسه عن الفطرة والطبيعة التي خلقه الله تعالى عليها إلى ما تشبه به.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، حديث رقم: ٥٨٨٥.

آداب النـــوم(*)

يقـضي الإنسـان مـدة طويلـة مـن عمـره نائـمًا تعـادل نحـو ثلـث حياتـه تقريبًـا، وذلـك راحـة لبدنـه بعـد عنـاء العمـل والسـعي مـن أجل تحصيـل أمـور المعـاش والمعاد، فيتقـوى بالنـوم لمثلهـا مـن السـعي، قـال تعـالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾(٢)، فاهتـم الإسـلام بتلـك المـدة الطويلـة من عمـر الإنسـان فوضع لهـا مـن الآداب الرفيعة التـي تجعلها أوقـات راحـة وطاعـة لله ﷻ، فـإذا اسـتطاع الإنسـان أن يكـون في نومه ويقظتـه مقتديًا بهدي الرسـول ﷺ في أقواله وأفعالـه فليفعـل، والنـوم آيـة مـن آيـات الله ﷻ المعجـزة، قال تعـالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(٣)،

(*) أعد هذا المبحث د/ عمرو محمد الكمّار - مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة.
(٢) [سورة النبأ، الآية ٩].
(٣) [سورة الروم، الآية ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، فالله ﷻ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ بقبضها عند انتهاء آجالها، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها أي التي لم يحضر أجلها يتوفاها في منامها، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ولا يردها إلى البدن الذي خرجت منه، وَيُرْسِلُ الْأُخْرى أي النائمة إلى وقت موتها. إِنَّ فِي ذلِكَ المذكور من التوفي والإمساك والإرسال لَآياتٍ على كمال قدرة الله ﷻ وحكمته[2].

وقد وضع الإسلام للنوم آدابًا يستحب للمسلم أن يأتي بها، منها:

- النوم مبكرًا لما فيه من صحة البدن، والقدرة على الاستيقاظ مبكرًا بجد ونشاط، فيبدأ يومه بصلاة الفجر في وقتها، ثم ينتظم في عمله أو دراسته جلدًا نشيطًا، فالله تعالى

(١) [سورة الزمر، الآية ٤٢].
(٢) تفسير ابن كثير ٧ / ٩١ بتصرف.

جعل النوم للسكن والنهار للحركة، فمن ابتغى خلاف الأصل - إلا لضرورة - فقد خالف الفطرة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[1]، ومن هديه ﷺ أنه: "كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا"[2]، أما من كان له حاجة من عمل أو سفر أو خلاف ذلك فله أن يسهر بقدر ما ينجز فيه ما أراده من خير.

- ومنها: إغلاق الأبواب وتغْطية أواني الطّعام والشّراب، ويلحق به إغلاق منافذ الغاز وغير ذلك مما قد يسبب ضررًا إذا تُرك، فعَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَلَوْ بِعُودٍ يَعْرُضُهُ"[3]، وقال ﷺ: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا

(١) [سورة النبأ، الآيات ٩- ١١].
(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّوْمِ قَبْلَ العِشَاءِ، حديث رقم: ٥٦٨.
(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ إِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ بِاللَّيْلِ، حديث رقم: ٦٢٩٦.

يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ، إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ الله، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ"[1].

- ومنها: تنظيف الفراش قبل النوم، يقول نبينا ﷺ: "إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِى مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِى، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ"[2]، ويشمل ذلك مطلق تنظيف مكان النوم، فيمكن للإنسان أن يفعل ذلك بأي وسيلة أو آلة عصرية تحقق المقصد وتفي بالغرض من منفضة أو مكنسة ونحوهما، فالعبرة ليست بإمساك طرف الثوب، وإنما بما يتحقق به نظافة المكان والتأكد من خُلوِّهِ مما يمكن أن يسبب الأذى للإنسان.

- ومنها: أن ينام سليم الصدر والقلب للناس أجمعين، فلا يحمل فيه حقدًا أو غلًّا أو حسدًا على أحد، فالإنسان في

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأشربة، بَابُ تَخْمِيرِ الإِنَاءِ، حديث رقم: ٣٤١٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ التَّعَوُّذِ وَالقِرَاءَةِ عِنْدَ المَنَامِ، حديث رقم: ٦٣٢٠.

حاجة ملحة إلى أن يطهر قلبه من مثل هذه الأمراض التي تضر به في دينه ودنياه، وتُفرِّق بين المسلمين وتباعد بينهم، والله تعالى يُعظم أجور أصحاب الصدر السليم ويرفع درجاتهم، فسلامة الصدور صفة أهل الجنة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1].

وعَنِ أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ (ثلاثة أيام متتالية)، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْن الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فبَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ الله ﷻ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ الله: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا

(١) [سورة الحجر، الآية ٤٧].

خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعْتَ أَنْتَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ"[1].

- ومنها: أن يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ويقرأ المعوذتين وخواتيم سورة البقرة، أو ما تيسر من القرآن والذكر، فعن السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ؛ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا

(١) مسند أحمد ٢٠/ ١٢٤، حديث رقم: ١٢٦٩٧.

مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ"[1]، وعن أبي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ"[2].

- ومنها: التكبير والتسبيح والتحميد عند النوم، فقد أمر النبي ﷺ بالذِّكر عند النوم، وعلمنا أنه يزيد في قوة البدن، فعن السيدة فَاطِمَةَ ﷺ، أنها اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ ﷺ لَهُ، فَأَتَانَا، وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: "عَلَى مَكَانِكُمَا"، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: "أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا الله أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ، حديث رقم: ٥١١٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ بَأْسًا أَنْ يَقُولَ: سُورَةُ البَقَرَةِ، حديث رقم: ٥٠٤٠.

ثَلاَثًـا وَثَلاَثِـينَ، فَـإِنَّ ذَلِكَ خَـيْرٌ لَكُمَا مِمَّـا سَـأَلْتُمَاهُ"[1]، وعن حُـذَيْفَةَ بـن اليـمان ﷺ، قـال: "كَانَ النَّبِـيُّ ﷺ إِذَا أَخَـذَ مَضْجَعَـهُ مِـنَ اللَّيْـلِ، وَضَـعَ يَـدَهُ تَحْـتَ خَـدِّهِ، ثُـمَّ يَقُولُ: "اللهـمَّ بِاسْـمِكَ أَمُـوتُ وَأَحْيَـا"، وَإِذَا اسْـتَيْقَظَ قَـالَ: "الحَمْـدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْـدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْـهِ النُّشُـورُ"[2].

"ومنهـا: النـوم في مـكان آمـن، وأن يبـدأ نومـه عـلي الجانـب الأيمـن فهـو الأفضل، فيَحْـرُم النـوم في مكان غير آمـن، كسـطح بيت غير مُأَمَّـن، فربما تقلب في نومه فسـقط، أو اسـتيقظ من نومه فقام قبل أن تكتمل اسـتفاقته فسـقط مـن ذلـك السـطح، يقـول رَسُـولُ الله ﷺ: "مَنْ بَـاتَ عَلَى ظَهْـرِ بَيْـتٍ لَيْسَ لَـهُ حِجَـارٌ، فَقَدْ بَرِئَـتْ مِنْـهُ الذِّمَّةُ"[3].

ومـن السـنن أن يبـدأ نومه على الشـق الأيمـن، وله أن يغـير هيئة نومـه - بعـد أن يذهب ويغط فيـه- على الجانب الأيـسر أو على الظهر حسـب ما تيـسر، لكن يُكْـره أن يبدأ

(١) صحيـح البخاري، كتاب فرض الخمس، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىَ أَنَّ الْخُمُسَ لِنَوَائِبِ رَسُـولِ الله، حديث رقم: ٣١١٣.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ وَضْعِ اليَدِ اليُمْنَى تَحْتَ الخَدِّ الأَيْمَنِ، حديث رقم: ٦٣١٤.
(٣) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، باب في النوم على سَطحٍ غيرِ مُحَجَّرٍ، حديث رقم: ٥٠٤١.

بالنوم على الجانب الأيسر أو على البطن إلا لضرورة من مرض أو غيره، فعن أبي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: رَأَى رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا الله"(١)، وعن أبي ذرٍّ ﷺ قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي، فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: "يَا جُنَيْدِبُ! إِنَّمَا هَذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ"(٢).

-ومنها: أنه إذا استيقظ في الليل من نومه أو تَعَارَّ من فراشه فليذكر الله ﷻ، فعن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، وَالله أَكْبَرُ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ"(٣).

- ومنها: أن يذكر الله ﷻ حين يستيقظ من نومه بالأذكار المأثورة أو بشيء من القرآن، فيصبح نشيطًا طيب

(١) سنن الترمذي، أبواب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الِاضْطِجَاعِ عَلَى البَطْنِ، حديث رقم: ٢٧٨٦.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الِاضْطِجَاعِ عَلَى الْوَجْهِ، حديث رقم: ٣٧٢٤

(٣) صحيح البخاري، كتاب التهجد، بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، حديث رقم: ١١٥٤.

النفس هادئ البال، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ الله انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ"(١).

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد، بَابُ عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ، حديث رقم: ١١٥٤.

آداب السفر(*)

السفر هو مفارقة مكان إلى مكان آخر ليدرك الإنسان مطلوبًا دنيويًّا أو أخرويًّا، وسُمي السفر سفرًا؛ من الإسفار وهو الخروج والظهور، فيقال: أسفر الصبح إذا ظهر وبان، وقيل: سُمي سفرًا؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، فيوضح أحوالهم، مأخوذ من قولهم سَفَرَتِ المرأة عن وجهها إذا كشفته وأظهرته، فكم من إنسان لا تعرفه ولا تعرف سيرته إلا إذا سافرت معه، وعندئذ تعرف أخلاقه وسيرته، "وكان سيدنا عمر ﷺ إذا زكَّى رجلٌ رجلًا عنده قال له: هل سافرت معه؟ هل عاملته؟ إن قال: نعم، قَبِلَ ذلك، وإن قال: لا، قال له: لا علم لك به"(٢)، وللسفر آداب، منها:

(*) أعـد هذا المبحث د/ عمرو محمد مصطفى، مدير عـام البعثات والوافدين بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢)انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لمحمد بن القاسـم، أبو بكر الأنباري، ٢/ ٢٤٧، ولسان العرب، ٤/ ٣٧٠.

- إخلاص النية لله تبارك وتعالى: فالنية الصالحة سببٌ لنيل رضا الله تبارك وتعالى، وسببٌ للتوفيق، وتحقيق الأهداف، فالمسلم يجعل من سفره قربة لله تعالى باستحضار النية الصالحة، قال ﷺ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"(١)، ويقول ﷺ: "مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ - يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ - إِلَّا بِبَابِهِ رَايَتَانِ: رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللهُ"، اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللهَ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ"(٢).

- ومنها: قضاء الديون لأصحابها، ورد الأمانات لأهلها: فالمسلم الذي عزم على السفر ينبغي أن يؤدي ما عليه من ديون، فإن لم يقدر فليستأذن المدين في الخروج والسفر، فإن أذن له خرج، وإلا قعد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ

(١) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي، حديث رقم: ١.
(٢) مسند أحمد ٨/ ٢٦٥، حديث رقم: ٨٢٩٦، والمعجم الأوسط للطبراني ٥/ ٩٩، حديث رقم: ٤٧٨٦.

﴿ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[1]، وكان هذا من هدي النبي ﷺ، فعندما هاجر إلى المدينة المنورة ترك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة ليرد الأمانات إلى أهلها، والحكمة من ذلك واضحة وهي حفظ الحقوق، وعدم جحودها، فإذا ما قضى المسافر ما عليه من ديون، أو استأذن صاحبه، ومات من يومه مات نقيًّا غير متحمل لأثقال العباد.

- ومنها: اختيار رفيق السفر: وذلك أن السائر في فلاة وحده، والبائت في بيت وحده إذا كان ذا قلب مخيف وفكر رديء لم يؤمن أن يكون ذلك سببًا لفساد عقله، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ"[2] وقَالَ ﷺ: "الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ"[3]، لذا ينبغي أن

(١) [سورة النساء، الآية ٥٨].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السير وحده، حديث ٢٩٩٨.

(٣) سنن أبي داود،كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده، حديث ٢٦٠٩، قال الخطابي:" معناه -والله أعلم- أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان، أو هو شيء يحمله عليه الشيطان، ويدعوه إليه فقيل على هذا: إن فاعله شيطان، ويقال: إن اسم الشيطان مشتق من الشُّطُون، وهو البُعْد في الأرض وحده مضاهيًا للشيطان في فعله، وشبه اسمه، وكذلك الاثنان ليس معهما ثالث، فإذا صاروا ثلاثة فهم ركب، أي: جماعة وصحب"، معالم السنن للخطابي، ٢ / ٢٦٠.

يصاحب المسافر الأخيار، ويختار في سفره الأطهار؛ فإذا نسي الخير ذكَّروه، وإن تذكّر شاركوه، قال ﷺ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"(١)، وصدق القائل:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينِهِ فَكُلُّ قَرينٍ بِالْمُقارَنِ يَقتَدي.

- ومنها: إعداد الزاد والنفقة التي توصله: فينبغي للمسافر التأهب لسفره بحمل الزاد والنفقة ونحوها، وهو لا يمنع التوكل، فالتوكل محله القلب، والعمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(٢) (٣)، ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ أي من الطعام ما تكفون به وُجُوهكم عن النَّاس وطلبهم، وخير الزاد التقوى، فلا يدع

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم: ٤٨٣٣.
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٩٧].
(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، حديث رقم: ١٥٢٣.

الإنسان شيئًا يحتمل أن ينفعه في الأمر الذي هو مقبل عليه إلا فعله، ولا يدع أمرًا يمكن أن يضره إلا تركه واحترز منه، فالتوكل إنما يكون مع الأخذ بالأسباب، وترك الأسباب بدعوى التوكل لا يكون إلا عن جهل بالشرع أو فساد في العقل.

- ومنها: الدعاء عند السفر وعند العودة منه، ففي الحديث أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: "سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ"، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: "آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ"[1].

- ومن آداب السفر كذلك حسن التعامل مع وسيلة السفر: فمن تكريم الله ﷻ لبني الإنسان أن خلق أشياء لمنافعه

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَكِبَ إِلَى سَفَرِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ، حديث رقم ١٣٤٢.

وراحته، رأفة ورحمة منه ﷻ، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، فينبغي على الإنسان أن يحسن استخدام هذه النعم، وهو من باب شكر المنعم، ومن باب الإحسان الذي كتبه الله على كل شيء، فالمسلم يحسن إلى سائر الكائنات بمقتضى إيمانه، فقد رُوي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ ﷺ: اتَّقُوا الله فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، ارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً[2]، ووسائل المواصلات الحديثة تأخذ نفس الحكم السابق من الإحسان بها والمحافظة عليها؛ بل أشد لأن منفعتها عامة لا تخص شخصًا بعينه، فالمحافظة عليها وصيانتها دليل قوي على الإيجابية وصدق الإيمان، وعمق الرابطة بين الإنسان ومجتمعه.

- ومنها: مراعاة مشاعر الضعفاء وأصحاب الأعذار: وقد اعتنى ديننا الحنيف بهذه القضية منذ بزوغ فجره، فآوى

(١) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

(٢) صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَبَاحَ الْحَمْلَ عَلَى الدَّوَابِّ الْمَرْكُوبَةِ، وَأَنْ لَا تُقْصَرَ عَلَى طَلَبِ حَاجَةٍ، إِذِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُرَاقِبُهُ، حديث رقم: ٢٥٤٥.

الضعفاء وخفف عنهم، حتى في العبادة، فأمر بتخفيف الصلاة رحمة بهم وبأمثالهم، وعدم المزاحمة في مناسك الحج وغير ذلك، رفعًا للحرج عنهم، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[1]، وقال ﷺ: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ"[2].

لذا وجب معاملة أصحاب الأعذار معاملة طيبة لا سِيَّما في السفر، فإنه مظنة المشقة، ويكون ذلك عن حب وإخاء حتى يظل المجتمع متآزرًا متماسكًا كالبنيان المرصوص ويأخذ القوي بيد الضعيف، فإعانة الضعفاء في الحل والترحال صدقة، قال ﷺ: "...وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ.."[3].

(١) ذكرت في موضعين: الأول [سورة النور، الآية ٦١]، والثاني [سورة الفتح، الآية ١٧].
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، حديث رقم: ٧٠٣، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، حديث رقم: ٤٦٧.
(٣) مسند أحمد ٥ / ١٦٨، حديث رقم: ٢١٥٢٢.

- ومنهـا: مراعـاة آداب الـذوق العـام: وذلـك كـترك البصـق ورمـي الفضلات في غـير موضعهـا المخصص له، وغـير ذلـك مـن الأمـور المؤذيـة للآخريـن، فإسـلامنا هو ديـن الـذوق العـالي الرفيـع، ومـكارم الأخلاق، والمسـلم نافع لنفسـه وغـيره في حـلـه وترحاله، قـال ﷺ: "لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ"[1].

- ومنهـا: اسـتعمال الرُّخَـص في السـفر: لمَّـا كان السـفر من أسـباب التخفيف بنفسـه ـ أي سـواء أكان فيه مشـقة أم لم تكـن ـ رخَّـص الله سـبحانه وتعـالى كرامـة منه للمسـافر بأن يـأتي بعـض الفرائـض عـلى وجـه فيـه يـسر وسـهولة؛ فأجاز لـه القـصر والجمـع في الصـلاة، وأبـاح الفطـر في رمضـان لمـن أراد، قـال تعـالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2]، وقـال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3]، والقاعدة: "المشـقة تجلب التيسـير"، قَـالَ النَّوَوِيُّ: وَرُخَصُـهُ (السـفر) ثَمَانِيَـةٌ مِنْهَـا: مَـا يَخْتَـصُّ بِالطَّوِيـلِ قَطْعًـا

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ٢٣٤٠.
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٨٥].
(٣) [سورة الحج، الآية ٧٨].

وَهُـوَ الْقَـصْرُ وَالْفِطْرُ وَالْمَسْـحُ أَكْثَرَ مِنْ يَـوْمٍ وَلَيْلَـةٍ، وَمِنْهَا: مَا لَا يَخْتَـصُّ بِهِ قَطْعًـا، وَهُوَ تَرْكُ الْجُمُعَـةِ وَأَكْلُ الْمِيْتَـةِ، وَمِنْهَا: مَا فِيـهِ خِلَافٌ، وَالْأَصَـحُّ اخْتِصَاصُهُ بِـهِ وَهُوَ الْجَمْـعُ، وَمِنْهَا: مَا فِيـهِ خِـلَافٌ، وَالْأَصَحُّ عَـدَم اخْتِصَاصِـهِ بِهِ، وَهُـوَ التَّنَفُّل عَلَى الدَّابَّـةِ وَإِسْـقَاطُ الْفَـرْضِ بِالتَّيَمُّمِ[1].

- ومنها: الاتصال على أهله ليخبرهم بقدومه وألا يطرقهم فجأة، وذلك امتثالًا لقوله ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، حيث قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل، فقال: "أَمْهِلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلًا ـ أَيْ عِشَاءً ـ كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ"[2]، فتستعد الزوجة والأهل والأولاد لاستقبال الغائب بما يليق، ولا يجد المسافر شيئًا يكرهه، وهذا توجيه نبوي شريف حتى تدوم المحبة والمودة بين الزوجين.

* * *

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص: ٧٧.

(٢) متفـق عليه: صحيح البخـاري، كتاب النكاح، باب طلب الولـد، حديث رقم: ٥٢٤٥، وصحيح مسـلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلًا لمن ورد من سفر، حديث رقم: ٧١٥.

آداب الطريق وحقوقه(*)

الطريق ملك للناس جميعًا، ويشترك في حق الانتفاع به الجميع، ومن ثم فلا يجوز لأحد أن يخص نفسه بنفع يكون سببًا في ضرر الآخرين، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ "قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"(٢).

والمراد بآداب الطريق: الأمور التي يجب مراعاتها على كل من يسلك طريقًا، ماشيًا كان أم راكبًا، واقفًا كان أم جالسًا، كغَضّ الْبَصَرِ، وَكَفّ الأَذَى، وَرَدّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وإماطة الأذى عن الطريق، وهداية الضَّالِّ، وغير ذلك من الآداب التي بينتها سنة النبي ﷺ.

والأصل في ذلك ما ورد في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ"، فَقَالُوا:

(*) أعد هذا المبحث د/ نوح عبد الحليم العيسوي - رئيس الإدارة المركزية لشئون مكتب الوزير.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم: ٢٣٤٠.

مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا"، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ"[1].

فقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلَّى بها من جلس في الطريق أو مرَّ به، والتي منها:

- غضّ البصر: وقد جاء الأمر به عامًّا في الرجال والنساء على السواء، فكما يجب على المسلم أن يغض بصره، يجب على المسلمة أيضًا إذا خرجت من بيتها أن تغض بصرها، وذلك لخطر النظر من كلا الطرفين للآخر، ويؤكد هذا ما جاء في حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ الله أَثَابَهُ الله إِيمَانًا يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ"[2].

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، بَابُ أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا، وَالْجُلُوسِ عَلَى الصُّعُدَاتِ، حديث رقم: ٢٤٦٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الرقاق، حديث رقم: ٧٨٧٥.

والمراد بغض البصر: خفض البصر عن كل ما يُكْره النَّظرُ إليه، حتى يسلم المرء من التعرض للفتنة أيًّا كانت، ولم يغفل الإسلام ما قد يقع من الناس بدون قصد منهم، حيث راعى في الإنسان الخطأ غير المقصود؛ لذا أمر من نظر إلى امرأة أجنبية أن يصرف بصره عنها ولا يتمادى، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: "سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي"(١)، وعلى ذلك فلو غض الإنسان بصره لاطمأنت نفسه، وهدأ قلبه، وسكن فؤاده.

- ومنها: كف الأذى عن الطريق، وهو أدب من الآداب التي حثَّ عليها الإسلام، وبيَّن فضلها وأجرها، وجعلها من شعب الإيمان، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ" شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"(٢)، فقد بيَّن الحديث أن إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، والمراد بالأذى: كل ما يُؤذي

(١) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، حديث رقم: ٢١٥٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٣٥.

مـن حجـر، أو شـوك، أو قمامـة، أو حُفَرٍ مؤذيـة وقد تكون مهلكـة إذا وقـع فيهـا مـن لا يبصرها، أو غـير ذلك.

والمـراد بكـف الأذى عـن الطريـق: إزالتـه وإبعاده عن طريـق النـاس، وعـدم التعـرض لهـم بأي لـون مـن ألوان الاعتـداء والضرر؛ لأن ذلك إفسـاد في الأرض، والله تعالى يقـول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1]، وقـد حثَّنَـا النبـي ﷺ عـلَى كـفِّ الأذى وإزالتِـهِ عَـنِ الطَّريـقِ، فعَـن النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْـشِي فِي الطَّرِيقِ إِذْ وَجَـدَ غُصْـنَ شَـوْكٍ فَأَخَّـرَهُ فَشَـكَرَ الله لَـهُ فَغَفَرَ لَـهُ"[2]، وقـال ﷺ: "لَقَـدْ رَأَيْـتُ رَجُـلًا يَتَقَلَّـبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَـجَرَةٍ قَطَعَهَـا مِنْ ظَهْـرِ الطَّرِيـقِ، كَانَتْ تُـؤْذِي النَّـاسَ"[3]، فهذه الأحاديـث وغيرهـا تؤكـد فضـل إزالـة الأذى عـن طريق النـاس لمـا فيـه مـن إدخـال التيسـير عليهـم في معاشـهم وعباداتهـم، كـما تؤكـد بمفهومهـا حرمـة إيـذاء النـاس في

(١) [سورة الأعراف، الآية ٥٦].

(٢) سـنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُـولِ الله ﷺ، بـاب ما جاء في إماطة الأذى عن الطريق، حديث رقم: ١٩٥٨.

(٣) صحيح مسـلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشـارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم: ١٩١٤.

طرقهم، وهو ما جاء صراحة في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ"(١).

- ومن حقوق الطريق كذلك: ردُّ السلام، وهو يغرس المحبة ويزرع الألفة فيما بين الناس، وينال به الإنسان رضا الله تعالى وغفرانه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"(٢).

ومن أدب السلام: أن يسلم الصغير على الكبير، والماشي على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ"(٣).

- ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو مما فُضِّلَتْ به أمة النبي ﷺ على سائر الأمم، حيث

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ١٧٩، حديث رقم: ٣٠٥٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ المُؤْمِنُونَ، حديث رقم: ٥٤.
(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ تَسْلِيمِ القَلِيلِ عَلَى الكَثِيرِ، حديث رقم: ٦٢٣٤.

قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، والمعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وفعل كل ما ندب إليه الشرع من المُحَسَّنات، وترك كل ما نهى عنه المُقَبَّحات، والمنكر: ضد المعروف، فهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو حصن الأمة من الوقوع في المهلكات، فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ"[2]، وحكمه: فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه وتركه بلا عذر.

(١) [سورة آل عمران، الآية ١١٠].
(٢) سنن الترمذي، أبواب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، حديث رقم: ٢١٦٩.

وقد جاءت أحاديث النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقيدة بالاستطاعة، فعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"[1]، والتّغيير باليد لولّي الأمر، والتّغيير باللّسان لمن كان له علم وحلم، فمن عجز عن ذلك فلينصرف وليدع الطّريق، وذلك أضعف الإيمان.

ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بُدَّ أن تتوافر فيه عدة أمور، منها: أن يكون عالمًا بالشيء الذي يأمر به، وينهى عنه، وأن يتحلى بالحلم؛ حتى لا يثور ويغضب فيفسد أكثر مما يصلح.

- ومن آداب الطريق كذلك: هداية السائل وإرشاد ابن السبيل، فهو من حقوق الطريق وآدابه، وقد حثَّ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، حديث رقم: ٤٩ .

الإسلام على هذا الأدب لما فيه من الخير، وجعل ذلك من الصدقات، مما يدل على فضله، يقول نبينا ﷺ: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ.."[1].

- ومنها: إعانة المظلوم على من ظلمه بالقول أو الفعل حيث أمكن، فنصرة المظلوم مما حثَّ عليه الإسلام، يقول نبينا ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا؛ أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟! قَالَ: "تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"[2].

- ومنها: إعانة الضعيف في حمله على دابته، أو رفع متاعه عليها، وما يقوم مقامها في هذه الأيام من إعانة كبار السن في ركوب وسائل الموصلات، أو مساعدة الناس في رفع أغراضهم على السيارات ونحوها، حيث

(١) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ المَعْرُوفِ، حديث رقم: ١٩٥٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، بَابُ أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، حديث رقم: ٢٤٤٤.

يقول النبي ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ، يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"(١).

- ومن أهم وآكد آداب الطريق في هذه الأزمان: الالتزام التام بأنظمة المرور وقواعد السير المتعارف عليها في الدولة، وهو مطلب شرعي يحث عليه ديننا الحنيف؛ لأن الغاية منه المحافظة على أرواح الناس وممتلكاتهم، وتحقيق الأمن والسلامة للناس أجمعين، فإهمال قواعد المرور وآداب السير يؤدي في كثير من الأحيان إلى الوقوع في الهاوية بقتل النفس المعصومة، وهذا من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ فَضْلِ مَنْ حَمَلَ مَتَاعَ صَاحِبِهِ فِي السَّفَرِ، حديث رقم: ٢٨٩١.

إِلَّا مَن تَابَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

وختامًا نؤكد أن الالتزام بنظام السير وقواعده يعدُّ من طاعة ولي الأمر التي أمرنا الله تعالى بها، فقد أمر سبحانه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ثم طاعة أولي الأمر، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾[3].

* * *

(١) [سورة الفرقان، الآيتان ٦٨- ٧٠].
(٢) [سورة النساء، الآية ٢٩].
(٣) [سورة النساء، الآية ٥٩].

آداب طالب العلم(*)

لا شك أن أهلَ العلمِ هم خلاصةُ الوجود، وهم أَمَنَةُ الله على خلقه، وهم الذين يحفظ الله بهم هذه الأُمَّةَ من الزَّيْغِ والضَّلالِ، فما من خيرٍ في هذا الوجود إلا وأصلُه ومنبتُه من العلم، وما من شرٍّ في هذا الوجود إلا وأصلُه ومنبتُه من الجهل، ويكفينا هذا الكلامُ الرائعُ على لسان الإمام عليّ رضي الله عنه(٢):

مَـا الفَخْـرُ إلاَّ لأَهْـلِ العِلْـمِ، إنَّـهُمُ

عَلَى الهُدَى لمن اسْتَهْـدَى أدلَّاءُ

وَقَدْرُ كل امرئ مَا كَانَ يُحسنـهُ

والجَاهِلُون لأَهْلِ العِلْمِ أَعْـدَاءُ

ففز بعـلم تعـش حيًّـا به أبـدًا

فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(*) أعد هذا المبحث د/ أسامة فخري الجندي، مدير عام المساجد.

(٢) حسن التنبه لما ورد في التشبه لنجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ)، ٣ / ٥٩٠.

ومن هنا فلا بُدَّ من الترسيخ لمفهومِ وقيمةِ العالِمِ والأستاذِ والشيخِ، وأنه يعد بمثابة مؤسسةٍ اجتماعيةٍ تربويةٍ توعويةٍ تعليميةٍ؛ حيث يقوم بتنشئة الأجيال في مراحل التعليم المختلفة إلى مرحلة النضج العقلي، من حيث غرس القِيَمِ والأخلاق والآداب التي ينبغي أن تتوافر في الدارسين، ونشر النور والمعرفة بينهم، كما أنه يقوم على تقديم الحقائق والمعارف الصحيحة البعيدة عن الأخطاء والأكاذيب؛ ليتحقق من خلاله تربيةٌ مستقيمةٌ وعقولٌ قويمةٌ لأجيال المستقبل، فيكونون بهذا العالِمِ والأستاذِ سواعدَ حقيقية لبناء مجتمعاتهم وأوطانهم.

فمن خلال المعلمين تتشكلُ عقليةُ النشء ويتكون لديهم الوعيُ والإدراكُ والفهمُ، وفق ما ينشرونه من عاداتٍ وتقاليد وقِيَم وآداب ومعارف وثقافة في شتى العلوم والفنون، فهم الأصل الأصيل في البناء الفكري للأجيال، وكذلك في البناء والتقدم للأمة في شتى المجالات (اقتصاديًّا - وتربويًّا - واجتماعيًّا - وعلميًّا... وهكذا)، ومن هنا فلا بُدَّ من قيمٍ وآدابٍ يسلُكُها الدارسُ والمتلقي والمتعلمُ في رحاب معلِّمِيهِ وأساتِذَتِه، ومن جملة هذه الآداب:

– توقير العلم وأهله واستحضارُ الهَيْبَةِ والاحترام بحُسْنِ التناولِ واستعمال ما يُحْمَدُ قولًا وفعلًا، فقد كان السادةُ العلماءُ الأعلامُ يوجّهون الطلابَ بأن يتعلموا الأدب قبل العلم، فلا ينفع جمعُ العلوم والمعارف بغير أدب، وقد جاء عن عمر رضي الله عنه قولُه: "تَأَدَّبُوا، ثُمَّ تَعَلَّمُوا"[1]، وقال ابن المبارك: "لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ بِنَوْعٍ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُزَيِّنْ عَمَلَهُ بِالْأَدَبِ"[2]، وقال أيضًا: "نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنْ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنْ الْعِلْمِ[3]، وقَالَ بَعْضُهُم[4]:

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ

وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الْكِبْرَةِ الْأَدَبُ

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ

وَلَنْ يَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهُ الْخَشَبُ

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد ابن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، ١/ ٦.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح، ٣/ ٥٥٢.
(٣) المصدر السابق، ٣/ ٥٥٢.
(٤) المصدر السابق، ٣/ ٥٥٢.

فينبغي إذن الاعتناءُ بهذا الجانب أشدَّ العناية، فنقوم على تربيةِ الأبناء بالأدب قبل تربيتهم بالمعرفة؛ لإخراج جيلٍ يعرِف قيمة العلم والعلماء قبل أن يعرف المعرفة.

فبالتوقير والاحترام ينتفع المتعلِّم بُمعلِّمِه، ويترسخ في ذهنه كلُّ ما ينهلُه منه، فعَنْ عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا"(١)، أي حقه، ويقول طاوس بن كيسان ﷺ: "مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوَقَّرَ أَرْبَعَةٌ: الْعَالِمُ، وَذُو الشَّيْبَةِ، وَالسُّلْطَانُ، وَالْوَالِدُ"(٢).

ولننظر إلى هذه الترجمات التطبيقية لهذا الأدب - الاحترام والتوقير- بين طلبة العلم ومعلِّميهم، فانظر إلى أدب سيدنا موسى ﷺ من تواضع جمّ وتوقير لمعلمه سيدنا الخضر ﷺ في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾(٣)، وَقَالَ الرَّبِيعُ متأدِّبًا مع معلِّمِه الشافعيّ ﷺ: "وَالله مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً له"(٤).

(١) مسند أحمد، ٣٧/ ٤١٦، حديث رقم: ٢٢٧٥٥.
(٢) شعب الإيمان للبيهقي، الخامس والخمسون من شعب الإيمان، بر الوالدين، حديث رقم: ٧٥٠٩.
(٣) [سورة الكهف، الآية ٦٦].
(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١/ ٢٢٦.

ومن الاحترام أيضًا: أن يتغاضى طالبُ العلم عن عيوب معلِّمِه ونواقصِه، فهذا أحد طلاب العلم كان إذا ذهب إلى شيخه تصدَّق بشيء، وقال: "اللهمَّ اسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي"[1].

فالمعلِّم بمثابة الوالد الذي يقدّم فنونَه ومعارفَه وتجاربَه وخبراتِه وخلاصةَ فكره إلى أبنائه (تلاميذه)، فكما أن هناك أدبًا مع الوالد لا بُدَّ منه، فلا بُدَّ أيضًا من هذا الأدب مع المعلِّم، ومن هنا نَظَم بعضُ الفضلاء[2]:

آبَـاءُ أَجْسَـادِنَا هُـمْ سَـبَبٌ

لَأَنْ جُعِلْنَا عَـرَائِضَ التَّلَفِ

مَـنْ عَلَّـمَ النَّاسَ كَـانَ خَيْرَ أَبٍ

ذَاكَ أَبُو الـرُّوحِ لَا أَبُـو النُّطَفِ

ومن الاحترام مع المعلِّم ألا يُفْحِمَه بالأسئِلةِ التي تَخْرُجُ عن نِطاقِ ما يقوم بمدارسَتِه، فتكون أسئلتُه محصورةً فقط في الفنِّ

(١) مختصر الإفادات في رُبْع العبادات والآداب لمحمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي (ت ١٠٨٣هـ)، ص٣٣٠.

(٢) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية لأحمد بن يوسف بن محمد الأهدل، ص ١٦٢.

أو العِلْمِ الذي يريدُ أن يفهَمَهُ على معلِّمِه، ولا يُشَتِّتُ فَهْمَ المُعلِّم أو ذهنَه بمجموعةٍ من الأسئلةِ المُفترَضَة أو الأسئِلةِ البَعيدة.

فلا بُدَّ من مراعاةِ حقوق المعلِّمين، وألا يُتجرّأ عليهم برفع الصوتِ في وُجُوههم، أو تناولهم بالقبيح من القول أو الفعل أو الإشارات أو الإيحاءات البعيدة عن معنى الأدب، أو إيذائهم بكلمات وعبارات لا تصح، وكذلك الحذر من القدح فيهم، فهذا كله ليس من الأدب مع أهل العلم.

- ومن آداب طالب العلم كذلك: الصبر وعدم الضجر وعدم العجلة، فإذا كان العلم هو السبيلَ الرئيسَ للابتكارِ والإبداعِ والاختراعِ، وطريقًا للتقدم والنمو في شتى المجالاتِ الحياتية، فلا بُدَّ إذن على طالبِ العلم أن يصبرَ في طَلَبِه للعِلم، وألا يَضْجَرَ من معلِّمِه، وألا يَسْتَعْجِلَ مَعَه سرعةَ الفهمِ والتحصيلِ، فيُوَاصِلُ الطَّلَبَ بحُسْنِ فَهْمٍ واستيعابٍ، وعدمِ يأس وصبر، وإن كان في ذلك مشقة، كما أنه يجب عليه ألا يقَفَ عندَ حدٍّ من تلقّي العلوم والمعارف مهما أمكَنَهُ التزوّد؛ ولهذا يقول الشاعر[1]:

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، ٩ / ٤٤٧.

اطْلُبْ وَلاَ تَضْجَرَنَّ مِنْ مَطْلَبٍ

فَـآفَـةُ الطَّـالِبِ أَنْ يَضْجَـرَا

أَمَّـا تَـرَى الْحَبـْلَ بِتَكْـــرَارِهِ

فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ قَدْ أَثَّـرَا

– ثم إنه بلا شك أن تَلَقّي العلوم مع الصبر والجَلَد والمحاولة في الفهم والاستيعاب، يكون أثبتَ في الذِهنِ، فالعلم إذن إنّما يؤخذ بالصبر والجَلَد والطمأنينةِ وعَدَمِ اليَأسِ، ومحاولة الفهم من المعلِّم قدر المستطاع؛ حتى يصل المتعلِّمُ إلى حدِّ الإتقان.

– ومنها: السعي في طلب العلم ولو بالرحلة إلى الآفاق وبذل الجهد – إن تطلب الأمر– لمجالسة العلماء والتحمل عنهم، فعَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: "قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ المَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَهُوَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الحَدِيثِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ

يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[1].

- ومن جملة الآداب التي لا بُدَّ منها في طلب العلم: "التواضع"، وهي سمة بارزة لاستمرار تلقي العلوم ومحبة أهل العلم، فالمتواضع في طريق العلم لا يحتقر النصيحة، ولا يستعلي على التقويم، ولا يرفض التوجيه، وقد نبَّه رسولُ الله ﷺ على ذلك، ودعا إليه حين قال: "تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ، وَالْوَقَارَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعْلَّمُونَ مِنْهُ"[2]، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ الْعِلْمَ ذُو فَضَائِلَ كَثِيرَةٍ: فَرَأْسُهُ التَّوَاضُعُ...."[3].

(١) سنن الترمذي، أبواب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ، حديث رقم: ٢٦٨٢.
(٢) المعجم الأوسط للطبراني، ٦ / ٢٠٠، حديث رقم: ٦١٨٤.
(٣) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، ص ٢٩.

ومما لا شك فيه أنه كلما ازداد الإنسانُ علمًا؛ كلما تبيّن له جهلُه بما لم يكن يعلم، وكذلك تبيّن له أن العلمَ بحرٌ واسعٌ عميق؛ وبناءً على هذه القاعدة، فإن طالبَ العلم لا يغترُّ بعلمِهِ وتحصيلِهِ مهما بَلَـغَ، وكلّما شَعرَ طالبُ العلم أَنّ عِلْمَهُ قَلِيْلٌ فإنّه يسعى في طلبِ العلمِ وتحصيلِه، ومعنى هذا أن الإنسانَ دائمًا بحاجةٍ إلى طلبِ العلم والمزيد منه؛ ولهذا كان نبيُّنا ﷺ يدعو ربَّه كما أمره فيقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

وهذا سيدنا ابنُ عباس رضي الله عنهما كان في طلبه العلم ربما جلس أمامَ بابِ صاحب العلم في اليوم الشديدِ في وقت الظهيرة، تُثير عليه الرِّيحُ الترابَ، فما كان يطرقُ عليه البابَ، يقول ابْنُ عَبَّاسٍ: "لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ: هَلُمَّ فَلْنَتَعَلَّمَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ نَسْأَلُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ، فَقَالَ: الْعَجَبُ وَالله لَكَ يَا ابنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مَنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَتَتَبُّعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنْ كُنْتُ لَآتِي الرَّجُلَ فِي الْحَدِيثِ يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ

(١) [سورة طه، الآية ١١٤].

الله ﷺ، فَأَجِدُهُ قَائِلًا، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِ دَارِهِ تَسْفِي الرِّيَاحُ عَلَى وَجْهِي، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيَّ، فَإِذَا رَآنِي قَالَ: يَا ابنَ عَمِّ رَسُولِ الله مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، فَيَقُولُ: هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ، فَأَقُولُ: أَنَا كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ آتِيَكَ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَرَانِي قَدْ ذَهَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدِ احْتَاجَ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتَ أَحَقَّ مِنِّي"[1].

ومن باب التواضع مع المعلمين: ألا يخاطب المتعلِّمُ معلِّمَه بتاء المخاطب، بل زيادةً في الإكرام والرِّفْعَةِ له، أن يخاطبَه بصِيغِ الجمع، فيقول له مثلًا: ما رأيكم؟، قلتم، ذكرتم رحمكم الله، وكذلك عند ذكره في غيابه أن يقدِّمَ بين ذكر اسمه ما يشعر بتعظيمه والتواضع له كأن يقول: قال شيخنا، أستاذنا، معلِّمُنا.. وهكذا.

- ومنها: الرجوع إلى العلماء في زمن الفتن والنوازل، وهذا أدبٌ عزيزٌ، لا بُدَّ منه خاصّة في زمن الفتن والنوازل، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٠ / ٢٤٤، حديث رقم: ١٠٥٩٢.

أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾[1]، فالعلم ليس بكثرة الحفظ أو الجمع، وإنما العلم بالفقه والفهم.

وفي هذا دليلٌ رصينٌ لقاعدةٍ من أجلّ قواعد الأدب في طلب العلم، فإذا كان هناك بحثٌ في أمرٍ من الأمور، فينبغي أن يُطلبَ فهمُ ذلك من أهله، وأن يُطلبَ من صاحبِ الرؤية الجامعة وليس الرؤية القاصرة أو المذهبية؛ ذلك لأن أهلَ العلم المتخصصين هم الأقربُ إلى الصواب، وإلى السلامة من الخطأ.

والناظرُ المدقِّقُ سيجد أن المعلِّمَ هو من يقوم بالتعبئة الفكرية والثقافية، وهو من يقوم بمعالجةِ البناءِ الفكري للأمة، من حيث محاصرة الفكر المنغلق أو المتشدد، وتحصين الأجيال من الفكر المتطرف أو المنحرف، وحفظ العقول من الشبهات والقلوب من الشهوات، وبيان الفهم الأصيل والرئيس لغايات العلوم والمعارف مع مراعاة فقه النوازل.

(١) [سورة النساء، الآية ٨٣].

ومن ثم فعلى المتعلِّم أن يردَّ كلَّ ما يقفُ فيه من مسائل وقضايا ومعارف إلى المعلِّم الناصح الأمينِ الفقيهِ، وإلا سيجد نفسَه أمام حالة من الفوضى الفكرية إذا أعطى الأمرَ لغير أهله أو لِمَنْ يوظّفُ معلوماتِه ومعارفَه لِهَوى أو انتماء أو طائفة.

* * *

الموضوع

تقديـــم. ٥
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

الأدب مع الله تعالى. ٩
د/ محمد السيد نصار، مدير عام الإرشاد ونشـر الدعوة.

الأدب مع رسول الله ﷺ. ١٩
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

الأدب مع الصحابة (رضوان الله عليهم). ٣١
د/ أحمد عبد الهادي علي، مدير إدارة المراكز الثقافية.

آداب معاملة الوالدين. ٣٩
د/ عمرو محمد الكمّار، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة .

آداب الطعام والشراب. ٥١
د/ أشرف فهمي موسى، مدير عام التدريب.

آداب اللباس والزينة.
د/ رمضان عفيفي بحيري، مدير عام المراكز الثقافية. ٦١

آداب النوم.
د/ عمرو محمد الكبّار، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة. ٧١

آداب السفر.
د/ عمرو محمد مصطفى، مدير عام البعثات والوافدين بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ٨١

آداب الطريق وحقوقه.
د/ نوح عبد الحليم العيسوي، رئيس الإدارة المركزية لشئون مكتب الوزير بالديوان العام. ٩١

آداب طالب العلم.
د/ أسامة فخري الجندي، مدير عام المساجد. ١٠١

المشرف على المشروعات الثقافية
مروان حماد

متابعة
فريال فؤاد

المراجعة اللغوية
د.حسن أحمد خليل
سيد عبد المنعم

الإخراج الفني
أحمد طه محمود

رقم: الإيداع بدار الكتب ٩٠١٩/ ٢٠٢٢
ISBN 978-977-91-3702-5